تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الصحية

ص8

العالَم الإسلامي يودع الشيخ الأرناؤوط شيخ المحققين

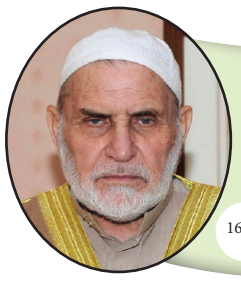

ص16

المحجة

نصف شهرية جامعة

3 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

www.almahajjafes.net almahajjafes@gmail.com AlmahajjaJournal

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج — 30 محرم 1438هـ- 01 نونبر 2016م — العدد :466

افتتاحية

من حقوق المواطن وكرامته إلى حقوق الأمة وكرامتها

لم يعد محل جدل أن الإنسان مكرم بالطبيعة، ولا تتقدم الشعوب والأمم حق التقدم إلا يوم تجعل الإنسان كائنا مكرما في ذاته، وفي ممتلكاته، ويعامل على أساس العدل والكرامة، ولقد أحاطت الشريعة الإسلامية الإنسان بكامل الرعاية والعناية، ووضع علماؤنا قواعد مؤصلة وضوابط مفصلة مستمدة من هدايات الإسلام وما فيه من توجيهات وأحكام؛ فبينوا أن شريعة الإسلام مبناها على مراعاة مصالح العباد وأعلاها الضروريات الخمس التي لا تتحقق الحياة إلا بها ولا يصح العيش بفقدها، واعتبروا الحاجيات في مرتبة ثانية، بدفعها يرتفع الحرج ويزول الضيق، وتتيسر سبل الحياة، أما التحسينيات فهي كمالات تزدان بها الحياة ويتحقق للناس بها رخاء ونماء نافعين في المكاسب والمعايش، ومن أجل القواعد في هذا المقام:

– أن مصالح الخلق في تحقيق مقاصد الدين، والعبودية لرب العالمين.

– أن رعاية الضروري متوقف على رعاية الحاجي والتكميلي، واختلال هذين مفضٍ إلى اختلال الضروري..

فتصبح المقاصد الشرعية منظومة متكاملة في ترشيد التصورات والتصرفات لإقامة العمران على موازين القرآن في توفير الكرامة وضمان العدل لكل إنسان.

إن كرامة الأمة والإنسان مشروطة بمراعاة هذه المراتب ضروريات وحاجيات وتحسينيات كل بحسب قوته ومرتبته وما يقتضيه الأمر من ترتيب الأولويات. وكل تشريع، وكل سياسة، وكل تفكير أو تعبير أو تدبير فردي أو جماعي في أي مجال وأي مستوى إنما مداره على هذه الأمور، وما يلزم من إجراءات لتحقيقها وتدابير تيسر سبل الانتفاع بها.

ليس شيء أضر بالشعوب والإنسان من انتهاك كرامتها ودوس حقوقها وهدر خيراتها،

ولقد عانت الأمة الإسلامية ولا تزال تعاني من اختلال في تدبير أمور البلاد والعباد وفق هذه القواعد الأصيلة والمقاصد النبيلة، لأسباب عديدة على رأسها:

– تغييب التعليم الإسلامي وإفراغه من محتواه الإيماني والعملي والقيمي، وفصله عن التربية والتوجيه، فأفرز ذلك خللا في التصور والتصرف، وتشوهات في التفكير والتعبير والتدبير كان له انعكاس سلبي مباشر على الحياة العامة للأمة.

– تغييب الشريعة الإسلامية عن تدبير الحقل السياسي وترشيده بما يلزم من ضوابط وقواعد ومقاصد، فسَادَ فسادٌ كبير في تدبير أمور السياسة، وانتشار سلوكات في الظلم والجور بجميع أشكالهما المادية والرمزية وفي مختلف القطاعات والمستويات، كما ساد الغش وضعف الشعور بالأمانة والاستهتار بالمسؤولية في جميع التراتيب الإدارية والفئات الاجتماعية، فضاعت بسببها حقوق الأفراد والأمة معا.

– تنحية الشريعة عن تقديم حلول شرعية لمعضلات الأمة الكبرى في السياسة والاقتصاد والتعليم والإعلام، فكثر الطعن في الثوابت وضاعت كثير من حقوق الأمة وأبنائها....

– مخلفات المرحلة الاستعمارية التي زادت توغلا في تضييق الخناق الاقتصادي على الشعوب الإسلامية وعرقلة النمو الذاتي لها، وأمعنت في محو ثقافتها ومقومات هويتها التاريخية والحضارية.

وإن الأمة اليوم في حاجة لاسترداد كرامتين متلازمتين: كرامة مواطنيها وكرامتها بين الأمم؛

فكرامة المواطنين لا تكون إلا بالبناء السليم للمواطنين بناء ينبني على جملة أمور منها:

– التربية المتوازنة انطلاقا من هدي الإسلام

– احترام الحقوق وصون الكرامة لأي مواطن كان من غير تمييز في اللون أو الشكل أو الحجم.

– إقامة العدل وتوسيع فرص الخير وتشجيع التنافس فيها.

– تبسيط المساطر الإدارية والإجراءات، والتزام معايير الشفافية والوضوح في التعامل مع الملفات.

وإذا كان هذا الشق قد تأسست له جمعيات وأحزاب وهيئات قطعت أشواطا في تحقيقها رغم العراقيل الكبيرة والتحديات الجسيمة، فإن حقوق الأمة وكرامتها ما تزال تنتظر من يحمل لواءها. ومما يحتاجه الأمر لصيانة حقوق الأمة وكرامتها:

– الحفاظ على دينها من التطاول عليه، بشتى أنواع التطاول الفردي والجماعي، الفكري والعملي، فلا حياة للأمة إن هي لم تحم دينها ولم تذب عنه.

– حماية لغة الأمة مما يهددها من التحديات ومن أبرز صور هذه التحديات عدم العدل بينها وبين غيرها من اللغات فتعامل لغة الأمة بالإهمال وتُقوَّى حظوظ غيرها في الاستعمال في كل قطاع ومجال. فأي كرامة للأمة في الوجود بغير لسانها ؟!

– التمكين للعلماء والدعاة بفتح أبواب العمل الإصلاحي للإسهام في تعزيز حقوق الأمة وكرامتها في وجدان أبنائها وترسيخ قيمها تصورا وتصرفا، إشراكا للأبناء والأحفاد في استكمال ما بناه الآباء والأجداد. فليست الأمة إلا تلاحم علمائها بأبنائها، فلا وظيفة للعلماء والدعاة إلا وصل الحاضر بالماضي لبناء المستقبل، ولا هوية للأبناء إلا بالانخراط في استكمال بناء مجد الأمة والاعتزاز بذلك.

وأخيرا إن الأمة اليوم في حاجة للعمل على واجهتين متكاملتين واجهة تعزيز كرامة أبنائها وضمان حقوقهم الأساسية في العدل والكرامة لتعزيز وحدة صفها وقوة بنائها، فكرامة الأمة من كرامة أبنائها والعكس صحيح، وهي مسؤولية جسيمة طويلة المدى يتقاسمها جميع أبناء الأمة خلفا عن سلف، وقد صدق رسول الله ﷺ حينما قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

تجليات مفهوم المسئولية والمحاسبة في الخطاب النبوي

ص3

الكتابات المعاصرة في السيرة النبوية من منظور سنني

ص4

فاس تحتضن المؤتمر الدولي السابع لتاريخ الطب في التراث الإسلامي

ص9

تأملات لسانية في التركيب القرآني

ص12

الصعوبة المختارة ودورها في البناء الحضاري

ص7

تفسير ميَسَّر لِسورة الحجرات 2/2

أ. د. عبد العالي احجيج

في الحلقة السابقة تناول الأستاذ الدكتور عبد العالي احجيج، التعريف بالسورةمن حيث اسمها وموضوعاتها الكبرى، وأسباب نزولها، كما تناول معناها الإجمالي. ويواصل في هذه الحلقة تتمة بيان هذه المعاني الإجمالية لينتهي إلى أقسام السورة ومقاطعها مركزا على توجيهاتها الكبرى ومقاصدها العامة.

5 - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: 11) يخاطب الله عباده المؤمنين مرة رابعة ليرشدهم إلى ما يحقق أخوتهم ويجمع كلمتهم ويدفع عنهم أسباب الفرقة والخلاف والنزاع، فينهاهم عن أن يسخر بعضهم من بعض رجالا ونساء، وعن أن يلمز بعضهم بعضا، وعن أن يتنابزوا بالألقاب السيئة فيما بينهم، وينفرهم من هذه الأعمال الذميمة التي تجعل مرتكبها يسمى بالفاسق وهو اسم مذموم ما أقبحه، بعد أن كان يسمى بالمؤمن الذي هو اسم شرف الله حامله وكرمه ورضي عنه. وبعد أن عرفهم الله بهذه الذنوب وأبان عن كراهيته لها دعاهم إلى التوبة منها والإقلاع عنها؛ لأن من استمر في فعلها بعد أن نهى الله عنها فإنه يكون ظالما لغيره وظالما لنفسه؛ لأنه عرضها لعقاب الله بارتكاب هذه المناهي.

6 - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: 12) يخاطب المؤمنين مرة خامسة فيتابع إرشاده لهم بما يحقق مصلحتهم العامة بالوحدة والإخاء فيأمرهم بأن يتركوا الظن السيئ بإخوانهم المؤمنين، وأن يحسنوا الظن بهم؛ لأن بعض الظن إثم يحاسب الله عليه. وسوء الظن مدعاة إلى التحقير والسخرية، واللمز مدعاة إلى امتلاء القلوب حقدا وكراهية، وعنه يتولد التجسس؛ لأن القلب لا يقنع بسوء الظن فيدفع صاحبه إلى التحقق فيشتغل بالتجسس، ولذلك نهى الله عن تلمس عيوب المؤمنين عن طريق مراقبتهم واستطلاع أخبارهم دون شعور منهم. وعن التجسس ينشأ الاغتياب وهو ذكر المسلم في غيبته بما يسوؤه وبما يكره أن يقال له في محضره بفضح أسراره وعيوبه وإظهار مساوئه للناس. وحتى يقتنع المخاطبون بقبح الاغتياب وبشاعته أتبع الله سبحانه النهي عنه بتمثيل الغيبة بأكل لحم الأخ الميت؛ لأن الميت لا يعلم ولا يحس بأكل لحمه، كما أن الحي الغائب لا يعلم بغيبة من اغتابه، وكلاهما لا يستطيع الدفاع عن نفسه. ثم بعد أن عرض هذا المشهد البشع المنفر من الغيبة بادر فأعلن أنهم كرهوا أكل لحم الأخ الميت ﴿فكرهتموه﴾. ولذلك ينبغي أن يكرهوا بالتبع الاغتياب. ويدعو الله عقب ذلك عباده المؤمنين إلى أن يتقوا عقابه بانتهائهم عما نهاهم عنه من الظن السيئ والتجسس والاغتياب، وأن يتوبوا عما صدر منهم لأن الله يقبل توبة التائبين الصادقين لأنه تواب رحيم.

7 - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13) بعد أن نهى سبحانه عن تلك الأفعال الذميمة التي ينشأ عنها احتقار الناس واستضعافهم والحط من قيمتهم؛ خاطب الناس مذكرا إياهم بأصلهم المشترك وبتساويهم في البشرية وبأنهم ليسوا جميعا سوى نتاج لآدم وحواء، أو لرجل وامرأة. خلقهم جميعا وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتميز بعضهم من بعض وليعرف بعضهم بعضا، أو خلقهم ليتعارفوا فيما بينهم ويقيموا العلاقات ويتعاونوا على تعمير الأرض التي استخلفهم الله فيها، لا ليتفرقوا ويتنازعوا ويختلفوا فيما بينهم أو ليسيء بعضهم إلى بعض عن طريق السخرية أو اللمز أو التجسس أو الاغتياب..

ثم يبين الله للناس الأساس العادل الذي وضع لتفضيل الناس بعضهم على بعض. فالناس سواسية لا تفاضل ولا تميز إلا على أساس العمل القائم على التقوى. فالكريم عند الله هو الأتقى، والله هو الذي يعلم درجة العبد من التقوى، فهو الذي يزن العباد وأعمالهم عن علم وخبرة.

8 - ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: 14-15) لما كان ما مر من الآيات يخاطب المؤمنين ويرشدهم إلى مكارم الأخلاق ليكتمل إيمانهم، وكانت الآية السابقة قد قررت أن التقوى هي أساس تكريم الفرد، وعلاقة التقوى بالإيمان علاقة وثيقة، تنقلنا السورة لتبين لنا حقيقة الإيمان وقيمته من خلال ما ادعاه بعض الأعراب من أنهم آمنوا، ولكن القرآن يكشف حقيقة ما في نفوسهم ويخبرهم بأنهم لم يؤمنوا بعد وإنما هم قد أسلموا؛ أي أظهروا الطاعة والخضوع والانقياد للرسول ﷺ، فقد أسلموا أمرهم إليه ولكن هذا الانقياد ليس نابعا من القلب وليس ناتجا عن إخلاص وصدق؛ وإنما هو انقياد ظاهري فارغ من الروح والعاطفة، لذلك فالإيمان ما زال لم يدخل إلى قلوبهم. ثم بعد أن أظهر لهم حقيقة ما في نفوسهم دفعهم إلى الإيمان الحقيقي ورغبهم أن يطيعوا الله حق الطاعة، فإن فعلوا ذلك فإن الله لن يحاسبهم عما سلف منهم فلا ينقصهم من أجور أعمالهم شيئا؛ لأن الله سبحانه غفور لذنوب التائبين إليه رحيم بمن أناب إليه. والإيمان الحقيقي الكامل الذي تبين أن محله القلب إنما تتمثل صورته الكاملة وتنسجم في أولئك الذين تعلقت قلوبهم بالله ورسوله عن صدق ومحبة لا يتطرق الشك والارتياب إلى قلوبهم، فهم ثابتون عليه متيقنون من صحة عقيدتهم وطهارتها وصفائها، قد ذاقت قلوبهم حلاوة الإيمان واطمأنت نفوسهم... واندفعوا بعد ذلك إلى نشر الإيمان وتبليغه للناس لتكثير المؤمنين في الأرض ولتطهيرها من رجس الشرك والعبودية لغير الله، لذلك يخرجون إلى الجهاد في سبيل الله باذلين أموالهم ومضحين بأنفسهم في سبيل الله. إن هؤلاء هم الصادقون في إيمانهم لظهور أثر الصدق على جوارحهم.

وعموما نلحظ أن الآية الأولى من السورة تنشر ظلالها على جو السورة كلها وتمسك بأطرافها. ف﴿يا أيها الذين ءامنوا﴾ مبثوثة داخل السورة، والإيمان محور موضوعها. وحضور الله سبحانه بإرشاده للمؤمنين وبذكر بعض أسمائه الحسنى ظاهر في السورة، والرسول ﷺ حاضر خلالها بوصفه أو بضمير يعود عليه. والتقوى تتوزع بشكل ملموس في ثناياها بصيغ متعددة (اتقوا - التقوى - أتقاكم) دليلا على قيام الإيمان

9 - ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الحجرات: 16-17) يأمر الله رسوله ﷺ بأن يزجر أولئك الذين يتطاولون على الله سبحانه، وقد أخبر بحقيقة ما في ضمائرهم وبواطنهم يريدون أن يخبروا بما في نفوسهم على خلاف ما أخبر الله عنها فيدعون الإيمان وقد نفاه الله عنهم. وما أخبر الله به هو عين الحق؛ لأن الله يعلم ما يجري في هذا الكون كله في سمائه وأرضه، لا تخفى عليه خافية، محيط بكل شيء عليم به، فكيف تخفى أحوالهم الظاهرة أو الباطنة عنه سبحانه. ثم يطلب من الرسول ﷺ أن يرد على الذين امتنوا(1) عليه بإسلامهم بأن الله هو الذي يمتن عليهم بالإيمان إن كانوا صادقين فيه؛ لأن الفضل يعود لله في إيمان العباد. هو الذي بعث بالرسول ﷺ ليهديهم إلى طريق الإيمان.

10 - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحجرات: 18) تنتهي هذه السورة الكريمة بتأكيد أن علم الله لا ينحصر في ظواهر الأشياء، ولكنه يعلم أيضا ما خفي منها وما غاب عن الأنظار، ولذلك فهو يعلم الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، وليس في حاجة إلى من يخبره عما في الضمائر والقلوب؛ لأنه يعلم السر وأخفى، ويجازي كل إنسان بحسب عمله.

أقسام السورة:

يمكن تقسيم السورة بحسب ما نلحظه في مضمونها وأسلوبها إلى قسمين كبيرين:

القسم الأول: ويضم الآيات الاثنتي عشرة الأولى التي يتوجه الله فيها بالخطاب إلى عباده المؤمنين ينهاهم فيها أو يأمرهم.

القسم الثاني: ويشتمل على خمس آيات هي (14-15-16-17-18) كلها تبين حقيقة الإيمان.

وتتوسط القسمين آية واحدة هي الآية الثالثة عشرة يوجه الله الخطاب فيها إلى الناس جميعا، وهي ترتبط بالقسم الأول الذي يتحدث إلى المؤمنين، وبالقسم الثاني الذي يتحدث عن الأعراب الذين لم يدخل الإيمان بعد إلى قلوبهم.

فإذا عدنا إلى القسم الأول نجد أن الله قد نادى فيه المؤمنين خمس مرات، ونستطيع أن نضع له تقسيما بناء على هذه النداءات فتكون المقاطع خمسة:

المقطع الأول: ويشتمل على الآية الأولى، يدعو إلى التأدب مع الله أساسا ومع رسوله ﷺ.

المقطع الثاني: ويشتمل على أربع آيات (2-3-4-5) يأمر بالتأدب مع الرسول ﷺ.

المقطع الثالث: ويشتمل على خمس آيات (6-7-8-9-10). ويتضمن الدعوة إلى التأدب مع المؤمنين بالسعي إلى الخير والإصلاح بينهم، ونلحظ أن الرسول ﷺ هو الحبل المتين الرابط بين المقطع الأول والثاني، والرابط أيضا بين الثالث والثاني مضمونيا وتعبيريا.

المقطع الرابع: ويشتمل على آية واحدة (11) تدعو إلى التأدب مع المؤمنين في حالة حضورهم.

المقطع الخامس: ويشتمل على آية واحدة (12) تدعو إلى التأدب مع المؤمنين في حالة غيابهم.

أما القسم الثاني: فإنه يعود في إطاره العام ليرتبط بالقسم الأول في كونه يبين للمنادين بـ﴿يا أيها الذين ءامنوا﴾ حقيقة الإيمان الذي يلزمهم أن يصلوا إلى مستواه حتى يتلافوا ما في إيمانهم من نقص جرهم إلى ارتكاب بعض الذنوب التي نهاهم الله عنها.

وعموما نلحظ أن الآية الأولى من السورة تنشر ظلالها على جو السورة كلها وتمسك بأطرافها. ف﴿يا أيها الذين ءامنوا﴾ مبثوثة داخل السورة، والإيمان محور موضوعها. وحضور الله سبحانه بإرشاده للمؤمنين وبذكر بعض أسمائه الحسنى ظاهر في السورة، والرسول ﷺ حاضر خلالها بوصفه أو بضمير يعود عليه. والتقوى تتوزع بشكل ملموس في ثناياها بصيغ متعددة (اتقوا-التقوى - أتقاكم) دليلا على قيام التقوى على الإيمان. وصفة ﴿عليم﴾ تتجاوب أصداؤها في رحاب السورة التي تبدأ بالإشارة إلى حضور الله سبحانه وتنتهي بالتذكير بعلمه الشامل.

---

1 - المن: الاعتداد بعطاء أو بأي فضل يحسبه المان المتفضل على الممنون عليه، وينتج عنه غالبا أن يحس الممنون عليه بكدر نفسي.

تجليات مفهوم المسئولية والمحاسبة في الخطاب النبوي (1)

ذ. محمد البخاري

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». (صحيح البخاري).

يبين الحديث النبوي الشريف تصور النبي ﷺ لمفهوم المسئولية والمحاسبة، التي تلهج بها كل الألسن في مختلف المناسبات؛ الثقافية، والسياسية، والإعلامية، دون أن يجد هذا اللغط صداه في واقعنا اليومي، إذ معظم الناس متدمرون من سوء تسيير مرافقهم العامة، مما يدفعنا إلى البحث عن سبب توجع المواطن المسلم من مؤسساته العمومية، والكشف عن البدائل الشرعية التي فعلت ربط المسئولية بالمحاسبة، مما يجعل الاعتماد عليها حلا عمليا لمعضلات الفساد الإداري في المجتمعات الإسلامية.

أولا: المسؤولية والمحاسبة تعاقد بين الخلق والخالق

استعمل العرب لفظة رعى للدلالة على الحفظ، والمراقبة، والتدبير، والحماية(1). وسمي الوالي بالراعي؛ لأنه يجب أن يقوم بمهمة الحفظ والمراقبة، ولا يتأتى له ذلك إلا بتدبير حكيم، وحماية فعالة، قال ابن حجر: "والراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه؛ فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه"(2).

فالرعاية تفيد المسئولية بمعناها العام المتداول، وهي تكليف والتزام يتحمله الجميع كل حسب قدراته، مصداقا لقوله ﷺ: «كلكم راع» دخل في هذا العموم، المنفرد الذي لا زوج له ولا خادم ولا ولد؛ فإنه يصدق عليه أنه راع على جوارحه... فعلا ونطقا واعتقادا، فجوارحه وقواه وحواسه رعيته(3). ثم إن قوله ﷺ: «وكلكم مسئول عن رعيته» يدل على معنى المحاسبة، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر: 93). قال القرطبي: "والآية بعمومها تدل على سؤال الجميع ومحاسبتهم"(4). وقوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف: 6). فالجميع محاسب، لقوله ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع» (صحيح ابن حبان).

وبناء على ما سبق؛ فإن المسئولية والمحاسبة في الإسلام تعاقد بين الخلق والخالق؛ لأنهما تكليف اختياري ينبثق عن الخلافة العامة في الأرض، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (ص: 26). فالحكم بالحق تعاقد مستمر مع الخالق، بيَّنه ﷺ بقوله: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». وهو يستمد وجوده من أصل خلقة الإنسان، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ (الأعراف: 172). فالجواب بالعبودية كان فطريا، والعبودية هي الضامن لحفظ بنود هذا التعاقد أثناء التطبيق. أما ما يسمى "بالضمير المهني" وغيره من المصطلحات الخادعة التي تخضع لمزاج صاحب الضمير، ونزواته، وحالاته النفسية من غضب وإرهاق، هو سبب بلاء الناس في مرافقهم العمومية؛ لأن العبادة هي أساس الخلافة في الأرض، وهي خاضعة للمحاسبة المطلقة في قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: 18). لذلك كان التعاقد العام توحيد الله تعالى وعبادته، فكلما كان هذا مرعيا، كانت العقود الأخرى المتفرعة عنه محفوظة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذريات: 56). فالراعي ليس مطلوبا لذاته، وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك، فينبغي أن لا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه(5). وما دام هو على هذا المنهج؛ فإن دعوة النبي ﷺ ستشمله في قوله: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً، فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به» (صحيح مسلم).

ثانيا: مرتكزات ربط المسئولية بالمحاسبة.

هذه المرتكزات تستنبط من قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». ومن النصوص الشرعية التي لها صلة بهذا الموضوع؛ وهي بالرغم من تعددها وتنوعها يمكن حصرها في التأهيل التربوي، والتأهيل المعرفي.

التأهيل التربوي للفرد الراعي:

كل إنسان راع باعتبار، ومرعي باعتبار، فلا يخلو مكلف من وظيفة ملقاة على عاتقه؛ فكلما عظم شأنها ازدادت مسئوليتها؛ ومن أجل إتقان هذه الوظيفة، واتخاذ القرار الصالح، والتسيير الرشيد لشؤونها، يجب أن يؤهل الفرد الراعي تربويا بشكل مستمر؛ في الأسرة، والمدرسة، والمسجد، والإعلام، والمجتمع، حتى يمتلك الصفات اللازمة للقيادة والتسيير، وعلى رأسها:

- القوة والأمانة: فالقوة البدنية، والفكرية، والسلوكية، تساعد الفرد على أداء ما كلف به على أحسن وجه، والأمانة تربطه بمراقبة الله تعالى في حفظ مصالح المسلمين من الضياع؛ فيحميها من جشعه وجشع من يعمل معه، قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: 26). فلا يمكن لمن يتولى وظائف الدولة العامة أو الخاصة، أن يكون ضعيفا في مواقفه وقراراته، أو خائنا مفرطا في وظيفته؛ لأن أهل الفساد سيطمعون في ضعفه وخيانته ويعيثون فسادا في مصالح المسلمين؛ لهذا لا يكفي أن يكون الراعي أمينا لا يختلس مال المسلمين، بل يجب أن يكون قويا أيضا ليحميه من اللصوص، وإن لم يفعل فهو مشارك، قال ﷺ: «إذا رأيت أمتي تهاب، فلا تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم» (المستدرك للحاكم). أي تركهم الله. فصفة الأمانة تستلزم حفظ المال العام، وتنميته، وصرفه في مصالح المسلمين، وصفة القوة تستلزم الدفاع عنه، وانتزاعه من يد الغاصبين؛ لذلك منع النبي ﷺ بعض الصحابة من تولي وظائف الدولة لأنهم غير أقوياء، رغم أنهم أمناء، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ ...قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها» (صحيح مسلم).

فالمنصب له تبعات بدنية وفكرية هائلة؛ لتحقيق النجاعة في طرق الحكم والتسيير، وتطوير وتنمية المرافق العامة للمسلمين، لذلك استحق سيدنا يوسف عليه السلام أن يكون مسئولا عن الشؤون المالية والاقتصادية لمصر، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: 54-55) فبهاتين الصفتين سيحفظ ثروات مصر وينميها، ويدافع عنها لمنع المفسدين من سرقتها.

- العدل والمساواة: فبالعدل يضمن الراعي تمتع المواطنين بحقوقهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: 58). فالعدل يمنع الظلم لخدمة أهداف سياسية، أو قبلية، أو غيرها. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: 8). وبالعدل استحق الراعي أن يكون أحب الخلق إلى الله تعالى قال ﷺ: «إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل» (سنن الترمذي). فمحبة الله شرف عظيم، وهي الوسام الذي يجب أن يسعى إليه رعاة هذه الأمة؛ لأنها دائمة ومنجية، فلا يكون مطمحهم تحقيق مصالحهم الخاصة التي تدفعهم للنهب والسرقة، قال ﷺ: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة..» (صحيح البخاري).

وإذا كان العدل إعطاء كل ذي حق حقه، فالمساواة تستلزم عدم التمييز بين المواطنين في الحكم بسبب دينهم، أو جنسهم، أو لونهم، أو عرقهم، أو انتمائهم، فهدف الراعي تطبيق حكم الله على الجميع، وبذلك نطهر مرافقنا العمومية من الرشوة، والزبونية، والمحسوبية، وغيرها من مظاهر الفساد التي انتشرت في جسم إدارتنا، لعدم تربية أولادنا على العدل والمساواة؛ لذلك أنكر النبي ﷺ على من أراد أن يشفع في حدود الله، لكون المحكوم عليه من علية القوم، وقال ﷺ: «إنما أهلك الذين من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (صحيح مسلم). وهذا ما يهلك الأمة الإسلامية الآن مع كل الأسف، وقد حكم ﷺ على الدول التي لا تراعي ذلك بالفشل فقال: «.. وإن الله لا يترحم على أمة لا يأخذ الضعيف منهم حقه من القوي..» (المستدرك للحاكم).

وتطبيقا لهذا المبدأ قام عمر رضي الله عنه بإعطاء أوامره بحفظ حقوق الضعفاء والفقراء من المسلمين وغيرهم؛ فقد مر بباب قوم وعليه سائل يسأل -شيخ كبير ضرير البصر- فقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه؛ فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شيبته ثم نخذله عند الهرم... ووضع عنه الجزية وعن ضربائه(6).

فإذا كان عمر رضي الله عنه قد مضى زمنه كما يروج البعض؛ فإن العدل والمساواة في الحكم لم يمض زمنهما، بل إن التحجج بهذه المقولة هو محاولة بائسة للتنصل من المسئولية مع الخلق، وهي لن تنجي أي مفرط أو منتهك لحقوق الله، وحقوق العباد قال ﷺ: «ما من وال يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم، إلا حرم الله عليه الجنة» (متفق عليه).

---

1 - مقاييس اللغة ابن فارس كتاب الراء، باب الراء والعين وما يثلثهما، مادة "رعى". القاموس المحيط، فيروز ابادي، باب الواو والياء، فصل الراء. تاج العروس، الزبيدي، مادة " رعى".

2 - فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، 112/13.

3 - المصدر نفسه، 13/ 113.

4 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب المصرية. 10 / 60.

5 - فتح الباري، 13/ 113.

6 - الخراج، لأبي يوسف، 139.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغرب : 60 درهم

■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)

رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،

فاس - المغرب

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج: رشيد صدقي
الموقع الالكتروني: www.almahajjafes.net
البريد الالكتروني: almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة: حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف: 0535931113
الناسوخ: 0535944454
الإيداع القانوني: 1994-61
رقم الصحافة: 91/11
الترقيم الدولي: 3627-1113
الطبع: إكوبرانت
التوزيع: سابريس

الكتابات المعاصرة في السيرة النبوية من منظور سنني: ملاحظات أولية

لقد أبدع العلماء والباحثون -قديما وحديثا- في وضع مناهج لحفظ السيرة النبوية، وتمييز الصحيح من الروايات من الضعيف والموضوع منها، وإخضاعها للنقد الحديث سندا ومتنا، كما اجتهد المعاصرون فصنفوا وألفوا، وحققوا ونقحوا، وعقدت ندوات ومؤتمرات وملتقيات، ورصدت وحدات التكوين والبحث ببعض الجامعات، ونوقشت رسائل وأطروحات علمية أكاديمية وتفاوت كل ذلك منهجا ومعرفة، وتقليدا وتجديدا، وقربا من الواقع وابتعادا.

وكل من يروم اليوم الكتابة والتأليف في موضوع السيرة النبوية أو بحث موضوع من موضوعاتها في رسالة جامعية أو غيرها يجدر به أن ينظر فلا يكرر، ويفحص فلا ينكص، ويجدد نظرا وعملا، ورؤية ومنهجا، وتعبيرا وتفكيرا وتدبيرا. وتفرض الرؤية الحضارية للسيرة النبوية ضرورة اتخاذها مصدرا للفقه الحضاري، فهي تمثل التجسيد العملي والتنزيل الواقعي للرؤية القرآنية في فقه العمران البشري، وتجسد إلى جانب القرآن المجيد مصدرا للهداية العمرانية.

إن السيرة النبوية هي ذلك الهدي المنهاجي العملي المستوعب لحركة بناء الذات والعمران، أو الهدي التطبيقي لهدى القرآن، وهي بذلك تعد منهجا نموذجيا وممارسة تطبيقية مثالية في إقامة العمران الإنساني قادرة على إفادة العلوم الاجتماعية والإنسانية منهجيا ومعرفيا في التحقق برؤية نسقية تركيبية متكاملة حول قضايا العمران والاجتماع البشري، والإسهام في تقديم بصائر تهتدي بها هذه العلوم -ومعها الحضارة الإنسانية وأنساقها ونماذجها الكلية- في الخروج من أزمتها المعاصرة.

ولعل المهمة الحضارية الكبرى التي تفرض نفسها اليوم في مجال السيرة النبوية تتعلق أساسا بالتمكين لرسالات الهدي المنهاجي النبوي في واقعنا المعاصر وتحقيق درجة عالية من التوازن والتكامل المنهجي والمعرفي داخل الكتابة العلمية الأكاديمية الرصينة المتخصصة في السيرة النبوية. ذلك أن جوهر الإشكال القائم في الكثير من الدراسات والتآليف في السيرة النبوية يكمن في اضطراب مناهج القراءة والفهم، وخلل في الاستنباط والاستلهام الوظيفي أو التطبيقي للسيرة النبوية في واقع الحياة، بل إن إشكالا آخر يتولد عن ما سبق هو عدم اعتبار السيرة النبوية مصدرا لإصلاح مناهج النظر والتحليل وبناء المعرفة، فالسيرة النبوية نفسها تقدم منهجا للفهم والقراءة والتحليل والمراجعة والبناء والاستشراف، وأي منهج لا يراعي خصوصية السيرة النبوية يكون عاجزا عن كشف أسرارها وإدراك معانيها والمضي بها نحو التأسي المنهجي المقاصدي السنني.

الكتابات المعاصرة في السيرة النبوية: ملاحظات منهجية

لا يمكن بحال من الأحوال

إنكار تميز بعض الكتابات المعاصرة في السيرة النبوية، وهي وإن كانت قليلة فإن الفضل يرجع إلى أصحابها في التنبيه على عديد من القضايا الهامة في درس السيرة النبوية، ولعل ندرة هذه الكتابات هو الذي دفعنا إلى إعادة النظر في الإنتاج العلمي المعاصر حول السيرة النبوية وتقويم ذلك في ضوء الملاحظات التالية:

- وقوع العديد من الدراسات التي رامت منهج تحليل الوقائع والاستنباط منها في إسقاطات لرؤى تنظيمية وتربوية وفكرية، فتعسفت في التأويل وفصلت الوقائع عن سياقاتها المتعددة، وأفضى بها ذلك إلى اعتماد نظرة تجزيئية اختزالية لا تعتمد المقاربة المنهجية المستوعبة لكل الوقائع والأحداث بهدف تكوين رؤية واضحة المعالم عن قضية من القضايا. "ذلك أن غياب الرؤية الشاملة للمنهج النبوي، وعدم فقه مقاصد التعامل مع الحالات المتنوعة، من الواقع، وأسباب التركيز عليها، أدى ببعض المفكرين إلى اختلال في شمولية الرؤية، وضبط النسب، وبروز فرق خارجة، ونتوءات فكرية، لا تتفق مع توازن وشمولية المنهج النبوي... أخذت بعض الجزئيات وضخمتها، وحاولت المرابطة من ورائها، وتعميمها على المنهج كله، فاضطربت الأولويات، واهتزت النسب، وظهرت الثنائيات المتناقضة، والتعسف في التفسير والتأويل المذهبي لا المنهجي، وأصبحت القواعد والأصول المذهبية، كلامية كانت أو فقهية، هي المعيار لتفسير النص والتحكم بمقاصده، وهو ما لم يعرفه تنزيل الإسلام الأنموذجي في خير القرون"(1).

- تكرار كثير من الدراسات والأبحاث لموضوعات بعينها، وأفكار واستنتاجات توصلت إليها دراسات سابقة دون أدنى محاولة للمراجعة أو الإسهام في الاجتهاد التنزيلي لفقه السيرة في الواقع المعاصر.

- ضمور المدخل السنني وفقه بناء العمران وفلسفة التاريخ والحضارة في تناول وقائع السيرة النبوية، وعدم رؤية أحداثها وفق نظر كلي شمولي متوازن، في مقابل ذلك نجد دراسات في فقه السيرة بمداخل تربوية أو حركية أو جهادية أو عسكرية. ولئن كنا لا ننكر أهمية هذه المداخل المعرفية في دراسة السيرة فإن كثيرا من الاستنتاجات قد تبعد النجعة بسبب إغفالها لقراءة السيرة قراءة سننية مؤسسة على الرؤية القرآنية السننية للاجتماع البشري.

- إذا بذل لحد الآن جهد علمي مقدر في نقد مرويات السيرة النبوية وتوثيقها ودراستها وفق منهج المحدثين، مع جمع الروايات واستقرائها من كتب السنن والمسانيد والمعاجم والمصنفات والمستدركات والمستخرجات، فإن القيام بدراسات تحليلية حسب أكرم ضياء العمري "هو الجانب الذي ما زال بحاجة إلى عناية كبيرة من قبل الكتاب المتمرسين وأصحاب الأقلام الراسخين والمفكرين الناضجين، وذلك خدمة للسيرة النبوية وتعميقا للمعاني السامية التي تحتاجها الأجيال الصاعدة"(2).

إن تحقيق مخطوط خصوصا حينما يتعلق الأمر برسالة علمية جامعية إذا لم يستوف شروطا علمية ومنهجية وحضارية -من بينها قدرة ذلك المخطوط على حل إشكالات، أو تقديم إجابات، أو استكمال صورة السيرة النبوية بوجه لم يسبق إليه...- لا يمكن أن تصرف فيه الجهود والأوقات والأموال بمجرد دعوى حفظه من الضياع.

ولا يمكن بحال من الأحوال أن تظل السيرة النبوية مجرد خبر من التاريخ، أو تحقيق لمخطوط في التراث، أو دراسة وتخريج لمرويات -على أهمية ذلك وخطورته، وتقدير جهود العلماء والباحثين في ميدان التحقيق ودراسة المرويات- دون استحضار مستجدات العصر ونوازله... وتراكمات العلوم والمعارف وتطور المناهج. وقد عبر أكرم ضياء العمري عن أسفه لعدم تجدد الدراسات التحليلية للسيرة النبوية وعدم استفادتها من مناهج العصر ومعطياته العلمية بقوله: "ويكفي أن القارئ لدراسة حديثة في السيرة لا يكاد يحس فرقا مهما بينها وبين كتاب سيرة ابن هشام أو زاد المعاد على تباين أسلوب ومنهج الكتابين، رغم التطور الهائل في الدراسات الاجتماعية في العصر الحديث، وما تقدمه العلوم الحديثة من معطيات ضخمة تخدم الدراسات الاجتماعية، وللأسف فإننا نعيش على حافة العالم الحديث، ولم نجرؤ على اقتحامه لنفيد من معطياته الثرية المتنوعة، مع أن ما ورثناه من أسلافنا في حقل التأليف التاريخي أعظم بكثير مما ورثه المؤرخون الغربيون من أسلافهم"(3).

في ضرورة استئناف صياغة رؤية تجديدية من منظور سنني:

لكن كيف يمكن لمجموع الدراسات والأبحاث أن تنصرف عن الكشف عن المخزون السنني داخل السيرة النبوية؟

إن المطلوب اليوم هو بعث الفعالية في أصالة معطيات الحركة النبوية بالقيام بدراسات علمية تكاملية تستثمر هذه المعطيات في تقديم إجابات وحلول لمشكلات الأمة الحضارية، لكن هذه الدراسات «لا تؤتي ثمارها المرجوة بأصالة وفعالية واطراد، إلا عبر عملية تجهيز منهجي موضوعي متكامل، يجردها من خصوصيات الزمان والمكان، ويحررها من ملابسات وعوارض الأحوال... التي تحكمت في "دوراتها الإنجازية" النموذجية السابقة، ليصلها بخصوصيات الزمان والمكان المعاصرين، ويربطها بملابسات وعوارض الأحوال القائمة أو الراهنة، وصل احتكام إليها لا وصل تحكم فيها، وربط استثمار مقاصدي موضوعي منضبط، لا ربط اتباعية وتيرية آلية متعسفة، أو انتقائية تلفيقية مميعة! فالتجهيز المنهجي المتكامل للمادة المعرفية للقرآن والسنة والسيرة"(4).

إن الحديث عن فقه العمران في ضوء السيرة النبوية هو حديث عن مدخل أساس من مداخل تجديد درس السيرة النبوية فهما وصياغة وتنزيلا، وهو مدخل يتسم بمنهجية التأسي المقاصدي التكاملي الراشد. ذلك أن السيرة النبوية باعتبارها تنزيلا عمليا للقرآن وتجسيدا لرسالة الإسلام تمثل مرحلة نموذجية تأسيسية في بناء الأمة وفق فقه عمراني إنساني عالمي.

وقد اشتغل ببناء العمران كتلة من العلوم والمعارف شرعية وكونية واجتماعية وإنسانية- بغض النظر عن جدوى هذا التصنيف ومحدوديته وتاريخيته- وطورت أمم معاصرة أنساقا ثقافية ومنظومات حضارية ومنظورات علمية حول العمران والاجتماع البشري وفق رؤيتها للعالم وبحسب نماذجها التفسيرية ورؤيتها الكلية للكون والإنسان والحياة، وخاضت وما تزال تخوض اليوم مشاريع لمراجعة رؤيتها العمرانية للخروج من الأزمة الحضارية التي ألقت بكل كلها على شعوب العالم.

إن تجديد الكتابة في السيرة النبوية اليوم يقتضي إحياء المعاني الحضارية الكبرى للسيرة، وإبراز هداياتها السننية في الاجتماع والعمران البشري مما اندرس بسبب قراءات استجابت لزمانها. إذ السيرة في حقيقتها مسار تاريخي لبداية تشكل حضارة عالمية جديدة بأصول وأسس وقواعد خاصة، وليست قصصا من التاريخ نملأ بها مجالسنا للمفاخرة والمؤانسة، وهو ما جعل العقل المسلم في لحظة من لحظات تاريخه يبالغ في نظم قصائد المديح النبوي ويعقد لها الموائد والموالد، ولو أن الأمر أخذ موقعه الطبيعي من سلم الأولويات والاهتمامات لما كان في ذلك عيبا، إذ سيرته عليه الصلاة والسلام أسمى ما يُتغنى به من تاريخ الأمة وحضارتها.

هذه الدراسات «لا تؤتي ثمارها المرجوة بأصالة وفعالية واطراد، إلا عبر عملية تجهيز منهجي موضوعي متكامل، يجردها من خصوصيات الزمان والمكان، ويحررها من ملابسات وعوارض الأحوال... التي تحكمت في "دوراتها الإنجازية" النموذجية السابقة، ليصلها بخصوصيات الزمان والمكان المعاصرين، ويربطها بملابسات وعوارض الأحوال القائمة أو الراهنة، وصل احتكام إليها لا وصل تحكم فيها، وربط استثمار مقاصدي موضوعي منضبط، لا ربط اتباعية وتيرية آلية متعسفة، أو انتقائية تلفيقية مميعة! فالتجهيز المنهجي المتكامل للمادة المعرفية للقرآن والسنة والسيرة،

---

1 - من تقديم عمر عبيد حسنة لكتاب: المنهج النبوي والتغيير الحضاري، برغوث عبد العزيز، كتاب الأمة،رقم43، ص23.

2 - العمري، أكرم ضياء. السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العبيكان، ط6، 2005م/1426هـ، ج1، ص24.

3 - ضياء العمري، أكرم. السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق، ج1، ص14.

4 - برغوث، الطيب. إشكالية المنهج في استثمار السنة النبوية، مرجع سابق، ص110.

د. عزيز البطيوي
أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية-أكادير.

الضمير الحي وأثره في الإصلاح

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له...

أما بعد، عباد الله:

إن الأمة اليوم لا تعيش أزمة اقتصاد ولا أزمة جهل ولا أزمة تدمر ولا أزمة بطالة ولا أزمة تقاتل ولا أزمة تفكك؛ أكثر مما تعيش أزمة ضمير.

فما هو هذا الضميرُ إذاً؟

الضمير عباد الله هو ذلكم الشعورُ الإنسانيُّ الباطنيُّ الذي يجعلُ المرءَ رقيبًا على سُلوكه، ولديه الاستعدادُ النفسي ليميزَ الخبيثَ من الطيب في الأقوال والأعمال والأفكار، واستحسان الحسن، واستقباح القبيح، وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ. فقد أخرج الإمام أحمدُ بسند صحيح من حديث وابصة بن معبد قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد ألا أدعَ شيئًا من البرِّ والإثم إلا سألتُه عنه، فقال لي: «ادنُ يا وابصة»، فدنوت منه حتى مسَّتْ ركبتي ركبته، فقال: «يا وابصةُ، أخبرك ما جئت تسأل عنه أو تسألني؟»، قلت: يا رسول الله، أخبرني، قال: «جئتَ تسألني عن البر والإثم»، قلت: نعم، فجمع أصابعه الثلاث فجعَل ينكت بها في صدري ويقول: «يا وابصة، استفتِ نفسك، البر ما اطمأنَّتْ إليه النفس، واطمأنَ إليه القلب، والإثم ما حاك في القلب، وتردَّد في الصدر، وإن أفتاك الناسُ وأفتَوْك».

لقد عانَت المُجتمعات المُسلمة في هذا العصر من غياب الضمير الحيِّ الواعِي، ذلكم الضميرُ الذي عوَّدَهم في غابر الأزمان أنه إذا عطسَ أحدٌ منهم في المشرق شَمَّتَه من بالمغرب، وإذا استغاثَ من بالشمالَ لامسَت استغاثتُه أسماعَ من بالجَنوب. إنه لن يستيقظَ ضميرُ الأمة إلا بيقَظة ضمائر أفرادِها؛ إذ كيف يستقيمُ الظل والعُودُ أعوجُ؟!

إن الضمير الحيَّ أيها الإخوة؛ يمثل للمسلم جهازَ استشعار دقيق وحساس، يميز به البرَّ من الإثم، والصالح من الطالح، والنافع من الضار، لكن إذا مات الضمير، وقُتل الرقيب، وضعُف الإيمان، فكيف للقلب السقيم أن يميز البرَّ والإثم؟!

يحكى أنها تكتب في طرقات بعض البلدان: (أنت لست وحدك.. كلنا نراك)، وهي رسالةٌ واضحة لإيقاظ هذا الضمير، فإذا عرفتَ أننا نراك فلا تخالف في الشارع، ولا تُلق بالقمامة على الأرصفة، ولا تقطع إشارة المرور، إذا عرفت أننا نراك فلا تُسيئ في أفعالك، إذا عرفت أننا نراك فلا تُتلف ممتلكات الدولة أو ممتلكات الآخرين، إذا عرفت أننا نراك فأدِّ عملَك على أفضل صورة...

ونحن بصفتنا مسلمين هل نحن نحتاج إلى مثل هذه القولة: (أنت لست وحدك.. كلنا نراك)؟ بل نعلم أن لنا رقيبا يراقبنا هو الله جل جلاله ولكننا ننسى ذلك ونتناساه ونتجاهله، قال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ (المجادلة: 7).

إخوة الإيمان، الضمير الحي هو ركنُ الرقابة في داخل كل إنسان، والضمير الحي هو القاضي والشرطي ورجل الأمن وموظف البلدية، الضمير الحي هو ميزان الحق والباطل، والصواب والخطأ.

كان جيلُ وابصةَ -أي جيل الصحابة رضوان الله عنهم- يحمل هذه الخصال.. ضمير حي، ونفس يقظة تميِّز الخير من الشر، والهدى من الضلال؛ ومن نماذج سلفنا الصالح عن الضمير الحي: ما ورد في الصحيح عن النعمان بن بشير، وهو يحدثنا عن هديَّة أراد أن يعطيها له أبوه، فيخصه بها دون بقية إخوانه من باقي زوجاته، فقال: أعطاني أبي عطية، فقالت أمي عمرةُ بنت رواحة: فلا أرضى حتى تُشهدَ رسول الله ﷺ، فأتى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أعطيتُ ابنَ عمرة عطية، فأمَرَتْني أن أُشهدك، فقال: «أعطيتَ كلَّ ولدك مثل هذا؟»، قال: لا، قال: «اتقوا الله واعدِلوا بين أولادكم»، قال: فرجَع فردَّ عطيَّته.

لننظر إلى الضمير الحي الذي تحمله "عمرة"، وهي زوجة ثانية، وترى أن زوجَها

> **إن الضمير الحيَّ أيها الإخوة ؛ يمثل للمسلم جهاز استشعار دقيق وحساس ، يميز به البرَّ من الإثم ، والصالح من الطالح ، والنافع من الضار ، لكن إذا مات الضمير ، وقُتل الرقيب ، وضعُف الإيمان ، فكيف للقلب السقيم أن يميز البرَّ والإثم ؟!**

يفضِّلُ ابنها على بقية أبنائه من باقي زوجاته، فلا تقبل، رغم ما يحصل بين الضرائر، إلا أن الضميرَ الحي لأمِّ النعمان دفعها إلى عدم قبول العطية لولدها دون سائر أبناء ضَرَّاتها، وانظر إلى ضمير البشير بن سعد يوم أن جاء إلى رسول الله ﷺ ليُشهدَه على تلك العطية.

لنتأمَّل في الضمير الحي الذي حمله الصحابي الجليل ماعزٌ رضي الله عنه، وكذا الغامدية؛ كما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن بريدة أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله ﷺ فقال: إني قد ظلمت نفسي وزنيتُ، وإني أريد أن تطهِّرني، فردَّه، فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله، إني قد زنيت، فردَّه الثانية، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه فقال: «تعلَمون بعقله بأسًا، تنكرون منه شيئًا؟» فقالوا: ما نعلمه إلا وفيَّ العقل من صالحينا -فيما نرى- فأتاه الثالثة، فأرسل إليهم أيضًا فسأل عنه، فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمَر به فرُجم، وكذلك الغامدية حيث قالت: يا رسول الله، إني قد زنيتُ فطهِّرني، وإنه ردها، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله، لم تردُّني، لعلك أن تردني كما رددت ماعزًا.. ولكنها أصرت أن يقام عليها الحد لتطهر نفسها في الدنيا قبل الآخرة؛ لأن لها ضمير حي.

لنتأمَّل في ضمير يوسف عليه السلام، يوم أن أغلقت امرأة العزيز الباب، ودَعَتْه إلى نفسها، كما أورد القرطبي في التفسير فقالت له: يا يوسف، ما أحسنَ صورةَ وجهك! قال: في الرحم صوَّرني ربي، قالت: يا يوسف، ما أحسن شعرك! قال: هو أول شيء يبلى مني في قبري، قالت: يا يوسف، ما أحسن عينيك! قال: بهما أنظر إلى ربي، قالت: يا يوسف، ارفع بصرك فانظر في وجهي، قال: إني أخاف العمى في آخرتي، قالت: يا يوسف، أدنو منك وتتباعد مني؟! قال: أريد بذلك القرب من ربي، قالت: يا يوسف، القيطون فرشته لك فادخل معي، قال: القيطون لا يسترني من ربي، قالت: يا يوسف، فراش الحرير قد فرشته لك، قم فاقضِ حاجتي، قال: إذن يذهب من الجنة نصيبي، فقال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: 23). نفعني..

الخطبة الثانية:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده إمام المتقين وخير الهدي أجمعين. أما بعد، عباد الله:

الأمم لا تتقدم وترتقي بكثرة القوانين واللوائح والقرارات، إنما ترتقي برقيِّ الضمائر، فيؤتى بتاج كسرى -مسلم صاحب ضمير حي- إلى عمر رضي الله عنه، فيقول: إن جيشًا أدى هذه الغنيمة لأمين، فرد عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عدلتَ فعدلوا.

ثم إن الناسَ أصنافٌ مع ضمائرهم:

فصنفٌ ضميرُه ظاهرٌ حيٌّ، يعرفُ المعروف، ويُنكرُ المُنكَر، يُشارك أمَّتَه همومَها وآلامَها وآمالَها، يُواسي ويُسَلي ويتوجَّع، ذليلٌ على المؤمنين الصادقين، عزيزٌ على الجبابرة المُجرمين، لا يخافُ لومةَ لائم، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: 56).

وصنفٌ من الناس ضميرُه مُستترٌ لا محلَّ له من الإعراب، مثلُ العبد الذي هو كلٌ على مولاه أينما يُوجِّهه لا يأتِ بخير، وجودُه زيادةٌ في العدد، لا يهُشُّ ولا ينُشُّ، فهو لم يَمُتْ ولكنه مُستترٌ لدنيا يُصيبُها، أو حظٍّ يستوفيه، أو يخشَى ذريةً ضعافًا من خلفه، ولسانُ حاله يقول: نفسي نفسي. فلا يستفيدُ منه فقيرٌ، ولا ينصحُ مُستنصحًا، وكأنه خُلق ليأكل ويشرب. ومثلُ هذا إن لَم يتعاهَد ضميرَه، فسيكونُ مع الزمن في عِداد الضمائر الميْتَة.

وصنفٌ ثالثٌ، وهو الضميرُ المَيت الذي يغلبُ شرُّه خيرَه أو لا خيرَ فيه، لا تجده في المُقدِّمة ولا في السَّاقة، لا يُشاطرُ إلا في الشرِّ، ولا تراهُ إلا في دوائرِ القُبح يأمُر بالمُنكر، وينهَى عن المعروف، ويقبضُ يدَيْه، نسيَ الله فنسيَه، لا تجده إلا كاذبًا غاشًا أنانيًا هَمَّازًا لَمَّازًا مَشَّاءً بنَميم، لسانُ حاله يقول: أنا ومن وراء الطوفان، وإن لَم تتغدَّ بزيدٍ تعشَّى بك.

بعض الناس ماتت ضمائرهم، والبعض نامت ضمائرهم، وآخرون تعفَّنت ضمائرهم، وهناك مَن باع ضميره، ونحن نرى أصنافًا من هؤلاء اليوم، نرى المسؤول الذي باع ضميره، والإعلامي الذي باع ضميره، والقاضي والعالم والموظف والمعلم الذي باع ضميره واشترى به ثمنًا بخسًا، حتى وصلت الأمة إلى هذه الحال المزرية.

ولله در من قال:

عَجِبْتُ وَحُقَّ لِي عَجَبِي
وَفِي جَوْفِي لَظَى اللَّهَبِ
وَقَلْبِي اليَوْمَ مُنْفَطِرٌ
وَدَمْعِي جِدُّ مُنْسَكِبِ
لِمَاذَا بَعْضُ أُمَّتِنَا
بِلا دِينٍ وَلا أَدَبِ؟!
وَغَاصُوا فِي بِحَارِ الجَهلِ
وَالفَوْضَى إِلَى الرُّكَبِ

ما أحوجنا إلى إيقاظ الضمير؟ ما أحوجنا إلى إحياء الضمير؟ ما أحوجنا إلى تنبيه الضمير؟ ليعود بالمسلم إلى حياته عاملاً فاعلاً متواصلاً مثمرًا مجتهدًا.

الضمير الحي هو ما تحتاجه الأمة من أبنائها... فهلمُّوا إلى حملة إحياء الضمير؛ لنعيد للأمة حاضرها، ونمتلك زمام المستقبل.

ذ . سليمان نمير

إشراقة

ذ. عبد الحميد صدوق

باب كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر حتى يصلي المكتوبة

عن أبي الشعثاء قال: "كنا قعودا مع أبي هريرة رضي الله عنه في المسجد فأذن المؤذن، فقام رجل من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بَصَره حتى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: (أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ)" (رواه مسلم).

يحتمل أن العلة في النهي هي التلبس بحال الشيطان إذ هو الذي يولي هاربا من مكان الصلاة إذا سمع الأذان. وقد قال جابر رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة، ذهب حتى يكون مكان الروحاء» (صحيح مسلم)، وهي ثلاثون ميلا من المدينة، وهذه صفة شيطانية كلما سمع الأذان ولى مدبرا. فعن سهيل قال: "أرسلني أبي إلى بني حارثة" قال: "ومعي غلام لنا، فناداه مناد من حائط باسمه" قال: "وأشرف الذي معي على الحائط فلم ير شيئا، فذكرت ذلك لأبي" فقال: «لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك، ولكن إذا سمعت صوتا فنادي بالصلاة، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الشيطان إذا نودي بالصلاة، ولى وله حُصَاص» وفي لفظ «وله ضراط». والحُصَاص والضراط شيء واحد، وقيل: هو شدة العدو والفرار. وذلك لما يغيظه من أمر الأذان إذ هو من أعظم شعائر هذا الدين، وهو دعوة للحضور إلى أعظم عبادة في الإسلام، فسماعه يهيج الشوق في نفوس المؤمنين إلى الإقبال على عبادة رب العالمين، وينزل كالصاعقة على نفوس الشياطين فيولون مدبرين.

قَالَ ابْن الْجَوْزِيّ: "عَلَى الْأَذَان هَيْبَةٌ يَشْتَدّ انْزِعَاجُ الشَّيْطَان بِسَبَبِهَا، لِأَنَّهُ لَا يَكَاد يَقَعُ فِي الْأَذَان رِيَاء وَلَا غَفْلَةٌ عِنْدَ النُّطْق بِهِ، بِخِلَافِ الصَّلَاة فَإِنّ النَّفْس تَحْضُر فِيهَا فَيَفْتَحُ لَهَا الشَّيْطَان أَبْوَاب الْوَسْوَسَة".

ولهذا يُكره للمسلم الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لضرورة حتى لا يكون متشبها بالشيطان فيصاب بالأذى، قال ابن المسيب رحمه الله تعالى: "بلغنا أنه إن خرج من المسجد بين الأذان والإقامة أنه سيصاب بمصيبة".

من معالم منهج الترجيح
عند العلامة الدكتور محمد التاويل رحمه الله تعالى (3)

ب- من حيث الترجيح:

إن القارئ لكتب الشيخ رحمه الله يستنتج مدى البعد العلمي والمعرفي الذي يتميز به الشيخ ويتجلى ذلك -من بين ما يتجلى فيه- في تصويباته جمعا وتوفيقا بين النصوص المختلفة والأدلة المتعارضة، وحسن تأويله لها، بعقل وتوجه لا يخالف المنطق الصحيح في أحكامه، ولا تحيله السنن الكونية، فكر يُلاحظ فيه التطبيق الدقيق للفكر الأصولي الذي ينطلق على أساس من الدقّة اللفظية التي اعتاد الفقهاء والأصوليون أن يتحرّكوا على أساسها.

والشيخ رحمه الله يصحح ويضعف وقد يخالف كبار العلماء وبعض المجمعات الفقهية، وله منهج خاص في اختيار رأي على آخر أو ترجيح قول على آخر، فهو قد يرد قول المخالف بقوله نفسه في موضع آخر شبيه له، وقد رصدنا في هذا الموضوع أمورا نشير إلى بعض منها هي كالآتي:

التأدب مع المخالف:

من أول ما يمكن أن نرصده في هذا المقام تأدبه مع المخالف أيا كان مذهبه ومعتقده، ومن ذلك:

• عدم تسمية الشخص المخالف خاصة في مقام الإنكار عليه:

ومن أمثلة ذلك قوله: "ذكورية الفقه ورجوليته مقالة شيطانية أخذت تطرق الأسماع، وتشق طريقها إلى بعض القلوب، وبدأت بعض العناصر المشبوهة تروج لها في الملتقيات والندوات ومختلف وسائل الإعلام، وتسربت إلى خطاب بعض المسؤولين والمثقفين غير الواعين بخطورتها..."(1).

وقوله: "الشهادة إحدى القضايا التي تشكو منها المرأة وتتظلم وتعتبرها انتقاصا من قدرها... ويستغلها خصوم الإسلام وأعداؤه في الدعاية ضد الإسلام واتهامه بالتحيز للرجل واحتقار المرأة حين رد شهادتها في غير الأموال وما يؤول إليها... ويحرضون المرأة على رفع صوتها بالشكوى والتظلم... ويصرون على المطالبة بالتسوية بين الرجل والمرأة في الشهادة دون تمييز..."(2).

ويقول أيضا: "وقد اغتر بعض المفتين بهذه الفتوى وما جاء فيها عن ابن العطار من أن هذا مذهب مالك، وأفتى بأن الزوجة تأخذ مع زوجها من يوم تزوجها في الأصول وفي غيرها على قدر عملها..."(3).

إن الشيخ - رحمه الله- يناقش الفكرة أساسا بغض النظر عن قائلها ينأى بنفسه عن السب والقذف، سلاحه القلم، يعرف أشخاصا بأسمائهم يدعون إلى ما سبق ذكره؛ لكنه ينأى بنفسه عن التعيين، فالمعين مبتدع كما يقال، وقد ورث هذا تلامذته النجباء. لقد درست عليهم سنوات ما سمعناهم يوما سموا أحدا باسمه في مقام الرد عليه أو دحض فكرته.

ومما ينبغي ذكره هنا أدب الشيخ -رحمه الله- مع العلماء وتبجيلهم وذكرهم بأوصاف لا تنقصهم قيمتهم بل تزدها، وكمثال على ذلك يقول رحمه الله: "إلا أن سيدي الوزاني نفى أن يكون العرف المشار إليه هو لأهل فاس"(4).

ومنهجه في الترجيح والتصحيح متنوع؛ فقد يرد مباشرة على غيره من العلماء أو المجمعات الفقهية أو المذاهب الأخرى عموما، وقد يرد على المخالف بقول عالم آخر مجتهد، وقد يرد قول المخالف بقوله نفسه في موضع آخر مشابه له في الصورة مخالف له في الحكم.

• مخالفته بعض الأئمة المجتهدين والرد عليهم بالعلم والدليل:

وأذكر هنا أمثلة في مخالفة الشيخ -رحمه الله- لكبار الأئمة، وهي مخالفة ناتجة عن علم واطلاع واسعين من ذلك:

عرضه لقول الإمام مالك رحمه الله في زكاة الفلوس مع بيان سبب قول مالك رحمه الله بعدم الزكاة فيها، قال رحمه الله: "ولعل فتوى مالك رحمه الله بعدم الزكاة في الفلوس في عصره كما جاء في المدونة لم يكن سببها أن الفلوس في عهده لم يكن لها طابع العملة الرسمية، وكانت تتعرض للكساد والبوار، فلم يرها مالا ناميا فلم يوجب فيها الزكاة"(5).

وقال قبل ذلك: "في حين رأى آخرون أن سبب الزكاة فيهما كونهما مالا ناميا وثمنا لتقييم غيرها من السلع والبضائع، وأوجب الزكاة في كل عملة مهما كانت عملتها التي اتخذت منها، وهذا هو الأصح والحق"(6).

الرد على الإمام بن عرضون في حال صحة فتواه في الموضوع الآتي، قال: "وهكذا يتبين أن ما ينسب لأحمد بن عرضون من إفتائه بتشريكها في جميع المال المكتسب لا يثبت عنه، ولا يعدو أن يكون شائعة لا أصل لها، ولا أساس لها من الصحة. وهي على تقدير ثبوتها فتوى في منتهى الفساد"(7).

رده قول الإمام بن القيم ومصطفى الزرقا في تعليل دية المرأة والحكمة في جعلها نصف دية الرجل، فبعد أن عرض قول الإمام ابن القيم في تعليل هذا الحكم الذي ملخصه كون المرأة أنقص من الرجل وهو أنفع منها بحيث يسد من المناصب والولايات وعمل الصنائع ما لا يتم إلا به لذا لم تكن قيمتهما متساوية؛ وعلل ابن الزرقا ذلك بكون الضرر المالي الذي يلحق أهل الرجل القتيل أكثر من الضرر المالي الذي يلحق أهل المرأة المقتولة، ليقول الشيخ رحمه الله بعد ذلك: "وكلا التعليلين غير وجيهين ولا مقنعين، فإن العلة في تشطير دية المرأة هي الأنوثة والعلة في تمام دية الرجل هي الذكورية بقطع النظر عن الاعتبارات التي بنى عليها ابن القيم والزرقا الفرق بينهما..."(8).

إن استقلاليته في التنظير والتقعيد والاستنباط، وعدم انسياقه مع التيارات ذات التوجه الوحيد، أدى به إلى بناء منهج دقيق على مختلف المستويات، وكان من نتائج استقلاليته هذه المبنية على أسس علمية متينة، مخالفته أحيانا لمعظم المجمعات الفقهية، ومن ذلك مثلا: حالة استئصال جزء من جسم الإنسان وزعه في مكان آخر من نفس الجسم الذي اقتطع منه كما يقع في استئصال الشرايين من جسم المريض لتعويض شرايين القلب عند انسدادها، وسلخ قطعة من جلد المريض وزرعها في مكان آخر.

لقد خالف الشيخ -رحمه الله- معظم المجامع الفقهية في هذه القضية من ذلك: فتوى المجمع الفقهي الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في دورته الرابعة بجدة من 18-23 جمادى الثانية 1408هـ الموافق لـ 1988/11/6م.

فتوى المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة بمكة المكرمة 1405/7/28هـ الموافق لـ 1985/8/19م.

قرار هيئة كبار العلماء في السعودية بشأن زرع الأعضاء.

لكن مخالفته لم تأت عن تشه فقهي أو لنزعة معينة، ولكن بناء على ما توفر لديه من أدلة واستنباطات.

وخلال جنوحه لاتجاه معين أو تصحيحه لقول رأى أنه صحيح قد يسلم تسليما جدليا للوصول بالقارئ إلى ما يصبو إليه: قاعدة إن فرض العين مقدم على فرض الكفاية، فإن أداء الصلاة في وقتها فرض، وإنقاذ المريض فرض كفاية على القول به وإن كان غير صحيح"(9).

---

1 - لا ذكورية في الفقه ص 5.
2 - المصدر السابق ص 42.
3 - إشكالية الأموال المكتسبة خلال الزوجية رؤية إسلامية ص 89.
4 - إشكالية الأموال المكتسبة خلال الزوجية ص 26.
5 - زكاة العين ومستجداتها ص 63.
6 - نفسه.
7 - إشكالية الأموال المكتسبة مدة الزوجية ص -80 81.
8 - لا ذكورية في الفقه ص 40.
9 - زراعة الأعضاء من خلال المنظور الشرعي ص 24.

ذ. أنس الكبير

بيان منحى ترتيب الأدلة عند الأصوليين تنظيرا وتنزيلا

يعتبر علم أصول الفقه من أهم العلوم الشرعية في بناء منهج التفكير قدرا، وأعظمها شرفا وفخرا، إذ هو علم يؤسس للفهم والاستنباط والحجاج، ومن مدارسه تخرج علماء بأفواج، وسلكوا في طلبه مسالك فجاج، وبحثوا فيه عن الدليل بأنواعه وتفصيلاته وحجيته عبر مراحل سنواته الطويلة النتاج.

وصار منهجا للاستدلال به على الفهم السليم، إذ هو علم ينهل من الوحي الحكيم، وعليه تأسس منذ أن هل فجره القويم، وتدرج مع الصحابة والتابعين؛ عاملين به على النحو السليم، إلى أن دونت مبادئه على يد الإمام الشافعي حين وقع الخلاف في بعض مبادئ الفهم السليم، وصار منهجا للمسلمين فيما بعد يعودون إليه في بناء التصور القويم، إلى أن وصلنا وهو مستوي السوق في بناء عظيم، تشده كليات وقواعد تؤسس له الصرح المتين.

وأهم ركيزة علم أصول الفقه الدليل، الذي هو منهج المسلمين في الاحتجاج والاستنباط والتعليل، فكانت طبيعته تقوم على الفهم الدقيق لنصوص الوحي المنزل من الرب الجليل، بمنهج يسلك فيه الفقهاء مسالك الاستنباط بالدليل، واهتموا اهتماما بالغا بترتيبه تنظيرا وتنزيلا، وسموا مشمولاته بأسماء فهما وتنزيلا ليسلك المستدل فيها منهجا سليما،... ويجاء بهذا المقال لبيان العمل بها تنظيرا وتنزيلا.

أقصد بالترتيب هنا: طبيعة تقديم بعض الأدلة على بعض لاعتبارات مصدرية، وأخرى دلالية.

ومن خلال هذا المفهوم يظهر بجلاء أن الأدلة في ترتيبها منحى مصدريا باعتبار أصلها المستجمع لعناوينها، ومنحى دلاليا باعتبار معناها المؤدى من ألفاظها، وإليكم البيان بعد الإجمال:

1 - ترتيب الأدلة باعتبار قوتها المصدرية وهيمنتها التشريعية:

ويقصد بها في هذا السياق ترتيبها حسب قوتها الثبوتية، وذلك من حيث الورود إلينا ومن حيث كذلك الهيمنة التشريعية حسب توالي الأزمان.

وعلى هذا المنوال جاءت الأدلة الأربعة الأولى مرتبة ترتيبا تنازليا، يقول عبد الوهاب خلاف: "وهذه الأدلة الأربعة اتفق جمهور المسلمين على أنها مرتبة في الاستدلال بهذا الترتيب: القرآن، فالسنة، فالإجماع، فالقياس"(1). بمعنى أن المجتهد يجب عليه أن يبحث عن الحكم الشرعي للنازلة في القرآن أولا، فإذا لم يجد بحث في السنة، فإذا لم يجد بحث هل وقع عليها إجماع أم لا؟ فإذا لم يجد بحث هل استعمل فيها قياس أم لا؟... وهكذا.

وهذا هو: "ترتيب الأدلة حسب قوتها المصدرية وهيمنتها التشريعية، وهذا يقتضي الأخذ بالأدلة حسب ترتيبها التنازلي المشار إليه، وهو محل اتفاق بين جمهور العلماء"(2).

ويستفاد ذلك الترتيب من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: 59).

ومن حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه لما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن الذي جاء فيه: عن معاذ أن رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن، فَقَالَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟» قَالَ: أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟» قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟» قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، لَا آلُو. قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ»(3).

أما باقي الأدلة الأخرى فقد اختلف العلماء حتى في الاحتجاج بها، أما الترتيب فلم يرتبها أحد حسب قوتها المصدرية والدلالية حسب علمي.

2 - ترتيب الأدلة باعتبار قوتها الدلالية: "القطعية أو الظنية".

يقول الغزالي وهو يتحدث عن ترتيب الشافعي للأدلة في الاستدلال بها على القضايا عمليا "ولقد أخر الإجماع عن الأخبار وذاك تأخير مرتبة لا تأخير عمل؛ إذ العمل به مقدم، ولكن الخبر يتقدم في المرتبة عليه، فإن مستنده قبول الإجماع"(4). "وأما ترتيب الأدلة حسب قوة إفادتها القطع أو الظن، وهنا نسجل أنه بالإمكان مثلا إعمال نصوص السنة القطعية في ظواهر القرآن وعموماته، وتقديم العمل بالقياس المنصوص على علته على خبر الآحاد وهكذا..."(5).

الترتيب الذي سلكناه سابقا من حيث المصدرية قد لا يلتزم به في التنزيل؛ لأن القطعية والظنية تفرض علينا أن نقدم الأقوى فالأقوى، فقد نقدم القياس المقطوع بعلته على خبر الآحاد الظني في دلالته... وغير ذلك من الاعتبارات؛ لأنه عند الترتيب التنزيلي للأدلة يظهر التكامل الحقيقي بينها، ووجه تكاملها هو تحقيقها للمصلحة لهذا المخلوق.

"وإذا كان التفكير الأصولي يقوم على الدليل والبرهنة وطرق الاستدلال وتمحيص ما يصح منها وما لا يصح، فإنه يقوم -كذلك- على التمييز والترتيب بين الأدلة. فعلم أصول الفقه يبين مراتب الأدلة، وأنها ليست على وزان واحد. وبناء على تمييزها وترتيبها، تتدرج أثناء إعمالها من الأعلى إلى الأدنى ومن الأقوى إلى الأضعف"(6).

---

1 - علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع الإسلامي لعبد الوهاب خلاف ص:24.
2 - مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس عدد خاص: 7- 1412هـ / 1991م.شعبة الدراسات الإسلامية، من مقال لعبد الحميد العلمي بعنوان: منهج الاصوليين في ترتيب أدلة الحجاج ص:197.
3 - مسند الإمام أحمد (تـــ: 241هـ) حديث معاد بن جبل رقم:22007، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
4 - المنخول للإمام الغزالي، ص: 576.
5 - مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس عدد خاص -7 1412هـ / 1991م. من مقال عبد الحميد العلمي بعنوان منهج الأصوليين في ترتيب أدلة الحجاج ص:197.
6 - الجديد الأصولي ص:73.

المصطفى خرشيش

مشكلة الإلحاد الجديد: كيف نفهمها؟ وكيف نواجهها؟ (1/4)

د. أحمد زايد

الإلحاد هو: موقف جحود وإنكار وعداوة للدين بصفة عامة والألوهية بصفة خاصة. وعندما بحث علماؤنا قديما في الإلحاد لم يعتبروه نظرية تقوم على برهان يستحق الرد، حتى قال الشهرستاني: "أما تعطيل العالم عن الصانع العليم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد، ولا أعرف عليها صاحب مقالة، إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية، ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع، فما عُدّت هذه المسألة من النظريات التي قام عليها برهان".

وربما كان الإلحاد زمن الشهرستاني وقبله كما ذكر في عبارته السابقة نظرية لا تستحق العناية والرد، لكن الواقع الفكري العالمي والمحلي اليوم اختلف اختلافا كبيرا، فبعد أن اجتاح الإلحاد الغرب وكثيرا من بلاد الشرق الأقصى وبلدان أخرى، بدأ الزحف الإلحادي متوجها إلى بلادنا وأوشك أن يتحول إلى ظاهرة إن لم يكن كذلك.

واقع الإلحاد اليوم:

تشير الإحصاءات المختلفة المصادر إلى أن 9 % من سكان العالم ملحدون، وأن أوربا من أوسع القارات التي ينتشر فيها الإلحاد ليصل في بعض دولها إلى 40 % كفرنسا، و25 % بريطانيا، وإذا انتقلنا إلى أمريكا ففيها 9 % ملحدون، وكندا 23 % وهكذا، وأما عالمنا العربي فمن عجب أن تكون نسبة 6 % ملحدين ممن أجري عليهم استطلاع الرأي حول الإلحاد في بلد مثل السعودية، وقريب من ذلك في مصر وغيرها، مما يعني أننا أمام ظاهرة خطيرة لها حضورها وتأثيراتها.

مقاومة الإلحاد من واجبات الوقت:

لكل وقت واجباته العاجلة التي لا يقبل الله أداءها بعد انقضائه، ومن واجبات وقتنا هذا مقاومة الإلحاد، وذلك بكشف زيفه ومغالطاته، ودحض شبهاته، وتثبيت يقين المؤمنين بإظهار أدلة الإيمان الناصعة وحججه الدامغة، اقتداء بالسلف الكرام رضي الله عنهم حيث بادروا بالرد على الفكر القدري لما نبتت نابتته، ولما ظهرت دعاوي الخوارج تصدوا لها وفندوا جوانيها ونقضوا أسسها، وهكذا كانت أعمالهم في الدفاع عن الإسلام علاجا وبناء، علاجا لنوازل زمانهم الفكرية والعملية، وبناء لإقامة الحضارة والحياة على الدين القويم، فلا يصح في عقل عاقل أن نجترّ أفكاراً تاريخية لا وجود لها ونشعلها معارك وهمية، تاركين المعارك الحقيقية التي تجتاح عقول الجيل الحاضر، فنصبح كالذي يدعو للنزال في غير ميدان، أو يضحك في بيت العزاء.

الإلحاد والملحدون ألوان وصنوف:

للإلحاد في النظر الشرعي عدة معاني، منها: الطعن في الدين، ومنها سوء التأويل والقصد إلى التحريف، ومنه الميل عن القصد، وكل معنى منها منتزع من دلالة آية قرآنية.

وقد مارس الملحدون المعاصرون تلك الأنواع كلها فطعنوا في الدين بدءا من مقام الألوهية مرورا بالنبوات وانتهاء إلى فروع مسائل الدين، وألبسوا ذلك كله ثوب العقل تارة، والعلم تارة أخرى. وتنوعوا بين ملحد منكر لوجود الإله، ولا ديني لا يعترف بالأديان، ولا أدري شاك في كل شيء إلهي أو ديني، وهكذا، وبعض هؤلاء ألحدوا إلحادا عاطفيا سببته الأهوال الواقعة للمسلمين اليوم في بقاع شتى، فقال لماذا يسمح الله بفتنة عباده الصالحين وتقتيلهم على ما نرى اليوم، ثم سأل: أين الله؟ أهو موجود؟ وإن كان موجودا وقادرا فلم لم يحم عباده المؤمنين؟ ثم توصل بفعل الصدمة والأزمة وضغط الانفعال بأنه غير موجود؛ لأنه لو كان موجودا لحمى عباده ودافع عنهم ونصر دينه وقهر عدوه، وهو في تلك الانفعالات الغاضبة بعيد عن توجيه سديد من أهل العلم.

فراغ ديني وروحي وعملي:

والحق يقال إن كثيرا من هؤلاء الشباب المتشكك أو الملحد إنما أوصلته إلى ذلك تلك الفجوة الحاصلة بينه وبين الدعاة وأهل العلم، حيث أصبح خطابنا الدعوي اليوم بجموده وضعف تفهمه لقضايا الشباب وواقعهم، من أسباب المشكلة، حيث زهّدهم هذا الخطاب على حالته تلك في الإقبال على أهل العلم وجعلهم ينفرون من كلماتهم، وهنا نؤكد أن الغالب على الخطاب الدعوي اليوم هو السطحية والهشاشة، وأحسن أحواله أنه ينحو منحى الوعظ والرقائق، ومعلوم أن الخطاب الوعظي المجرد لا يصنع وعيا، ولا يبني عقلا، إذ سرعان ما يذهب أثره مع الرغبات والشهوات والانشغالات، وقد سبب ذلك كله فراغا روحيا وعلميا صحبه فراغ عملي، وفي مثل هذه الظروف يغدو الشباب غير قادرين على الصمود أمام السيل الهادر من الشبهات التي تحاصر هذا الجيل من كافة النواحي، وعبر الكثير من المنافذ والوسائل.

فجدير بأولي العلم والنخبة المؤمنة التي تحمل همَّ الأمة وتسعى في إصلاحها أن تعنى بصناعة خطاب يلبي حاجات العقل والقلب، ليتحول شباب الأمة من مجرد التقليد في دينه إلى القناعة والفهم والوعي والطمأنينة التامة التي تجعله قادرا على مواجهة المخاطر الفكرية بكل قوة وصلابة.

الإلحاد الجديد ليس تيارا عفويا:

ولئلا يستهان بظاهرة الإلحاد الجديد الزاحف بين صفوف أبناء الأمة يجب أن ننبه على أنه لم يوجد صدفة، ولم ينتشر هكذا انتشارا عفويا بلا رعاية، فكل التقارير المنجزة في هذا المجال تؤكد أنه تيار تدعمه دول ومنظمات وأجهزة ومؤسسات عالمية، نذكر منها على سبيل المثال:

- التحالف الدولي للملاحدة.
- رابطة الملاحدة .
- مؤسسة ريتشار روكنز لدعم العقل والعلم.
- الاتحاد الدولي للاتجاه الإنساني والأخلاقي.
- الرابطة الدولية لغير المتدينين.

وهذا على سبيل المثال لا الحصر، مما يحتم علينا أن ننظر إلى أمر الإلحاد المعاصر على أنه خطر يهدد هذا الجيل والأجيال القادمة، لهذا وجب أن تنعقد من أجل مواجهته المؤتمرات وتنظم في سبيل الوقاية منه الندوات وتصنف الكتب.

كما ينبغي التنبيه إلى أن الفكر الإلحادي سرعان ما يجد في جامعاتنا أرضا خصبة، وبخاصة تلك الجامعات والكليات المدنية التي لا تعنى كثيرا بالدرس الشرعي.

الصفوة المختارة ودورها في البناء الحضاري

تقديم:

الصفوة هي النخبة المختارة من المجتمع، تتميز عن غيرها بقدرتها العالية على التحمل والتوقع والاستشراف والتخطيط. ورجالها أرباب الوعي في المجتمع وصانعو أمجاده. ولا تقتصر الصفوة على العلماء وأرباب الفكر والمصلحين بل يتسع معناها ليدخل فيه كل الموهوبين في المجتمع في جميع القطاعات العلمية والفنية والعملية، العسكرية والمدنية، الدينية وغير الدينية، النظرية والمهنية. وكما تكون الصفوة صالحة مصلحة تكون أيضا فاسدة مفسدة؛ قال تعالى عن صنف الأخيار من الأنبياء والصالحين: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: 73)، وقال تعالى عن فرعون وجنوده باعتباره نموذج الصفوة الفاسدة المفسدة: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (القصص: 39 – 41). وتتميز الصفوة داخل المجتمع بالقلة مقارنة مع الكثرة، وبالتأثير والفاعلية بدل التأثر والانفعالية، وتتوفر فيها خصائص القيادة والزعامة والتنظيم، وبقوة الإيمان بالمبادئ والتضحية العالية من أجلها التي لا توجد في الجماهير، وبالإعداد والتخطيط والتنفيذ.

> إن الأمة التي لم يولد فيها مثل هذه النخبة لم تولد بعد ولادة حضارية ، وإن الأمة التي توقفت عن إنجاب الصفوة المختارة أمة شاخت ، ودخلت مرحلة العقم الحضاري والشيخوخة ، وأزفت ساعة رحيلها . .

أولا - لا تنشأ الحضارة إلا على يد الصفوة المختارة:

الصفوة المختارة هي أس البناء الحضاري، ورجالها هم المحرك الأول للتاريخ، والناقلون الأوائل للتاريخ من الجمود إلى الحركة، ولم تنشأ حضارة ولا عمران إلا بوجود الصفوة المختارة أفقيا وعموديا.

وإن من أوائل وظائف النخبة قيادة الأمة ونقلها من الغياب الحضاري إلى الشهود، ومن العدم إلى الوجود، ومن الذيلية والتبعية إلى القيادة والتوجيه. وقد كان ميلاد كل أمة على يد زعيم لها أو مصلح، أو نبي مرسل، فنقلها من الجهل إلى العلم، ومن الركود إلى النهوض، ومن الكبوة إلى الصحوة؛ فعلى يد الصفوة تولد الأمة، وتتحرك في الواقع حركة التأثير، وعليها يقع عبء استنهاض الهمم وارتياد المواقع ومدافعة الأمم.

ثانيا - لا تستمر الحضارة قوية إلا باستمرار وجود صفوة قوية:

لا تتوقف الحاجة إلى الصفوة في مرحلة النهوض والنشأة فقط، وإنما تستمر الحاجة إليها في مرحلة الازدهار؛ إذ وظيفتها بعد التأسيس قيادة الأمة نحو استكمال تقدمها وريادتها، وضمان تفوقها، وتقوية المرتكزات ودعم المكتسبات. وهي المسؤولة عن التخطيط للحفاظ على قوة الأمة في جميع القطاعات والتخصصات وفي سائر المستويات، والإرشاد لأسباب ذلك. وهي التي يقع على عاتقها في هذه المرحلة إعداد الخَلَف الذي يضمن البقاء ويشكل جهاز المناعة القوي للتدخل السريع والوقاية من السقوط المريع.

وإن الأمة التي لم يولد فيها مثل هذه النخبة لم تولد بعد ولادة حضارية، وإن الأمة التي توقفت عن إنجاب الصفوة المختارة أمة شاخت، ودخلت مرحلة العقم الحضاري والشيخوخة، وأزفت ساعة رحيلها..

ثالثا - الصفوة المختارة في حضارة الإسلام يمثلها الأنبياء والمرسلون وورثتهم من العلماء والدعاة:

تقوم الحضارة الإسلامية على صفوة اختارها الله تعالى للقيام بوظيفتها في هدي العباد وصيانة بيضة الإسلام، إنها صفوة روادها الأنبياء وورثتهم من العلماء والدعاة؛

– قال تعالى في اصطفاء الأنبياء والرسل وجعلهم الصفوة الراشدة المرشدة: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج: 76).

– وقال جل وعلا في اصطفاء من يحمل الأمانة بعد الرسل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر: 38).

– وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 104).

– يقول النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». (أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم).

لذلك نقول إنه لا نهضة للأمة من غير وجود صفوة من العلماء ورثة الأنبياء، فهم جهاز المناعة، وملح الحضارة، فالوجود الحضاري للأمة مشروط بوجودهم، وقوتها رهينة بقوتهم، وسلامتها ملازمة لسلامتهم.

رابعا - في أمراض الصفوة:

الصفوة داخل المجتمع يصيبها أحيانا ما يصيب المجتمع من أمراض؛ ومن أشدها فتكا:

– أن تولد منذ البداية حاملة لواء الفساد والشر والاستعباد.

– أن تصاب بدائي الشبهات والشهوات فتتحول إلى نصرة الباطل وأهله.

– أن تصاب بداء التقاتل والتآكل بدل التعاون والتكامل.

إن التأمل في أمراض هذه الصحوة يضع أيدينا على قواعد حضارية هامة منها:

– كل صفوة خرجت عن رسالتها إلى ما يناقضها إلا وتعطلت رسالتها التي جعلت لها.

– حين تتحول الصفوة عن رسالتها يقع الاستبدال والخَلَفُ، وتنشأ صفوة جديدة تستأنف المسير وتصحح المسار؛ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (الأنعام: 88)، ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: 38).

– سلامة جهاز الصفوة سلامة للأمة جمعاء، ومرضه أو فقده أو تشوهه مؤذن بخراب الأمة، لأن الأمن الحضاري يدور وجود وعدما، طردا وعكسا، مع سلامة النخبة وصحتها.

– أن تصاب الصفوة بمرض العقم بحيث لا تنجب الصفوةُ صفوةً مثلها أو أحسن منها، وعقم الصفوة مشعر لا محالة بالعقم الحضاري.

وهكذا نختم نظراتنا بالقول إن من فقه سنن الحضارات فقه القوانين المتعلقة بالصفوة وجودا ووظائف، صحة واعتلالا، إذ على هذا الفقه تتوقف حركة الأمة وقوة تأثيرها، وعليها المدار في الوقاية والعلاج. وبحسب نوع الصحوة خيرا وشرا يكون نوع الحضارة؛ فالصفوة الخيرة تقود إلى بناء حضارة الخير والعدل والرحمة، وصفوة أهل الشر تقود إلى الظلم والبأس والنقمة.

الطيب بن المختار الوزاني

شاركت مؤسسة البحوث والدراسة العلمية مبدع في المؤتمر الدولي لتاريخ الطب في التراث الإسلامي في دورته السابعة الذي احتضنته مدينة فاس أيام 25-26-27 أكتوبر 2016، وقد قدم الدكتور مصطفى فضيل (المدير التنفيذي لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)) عرضا عن مشروع المؤسسة في مجال خدمة المصطلح الطبي من خلال المعجم التاريخي للمصطلحات الصحية وهذا مضمون العرض.

مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الصحية

أولا: بيان المراد من "المشروع"

1 - مفهوم المعجم التاريخي:

يقصد بـ "المعجم التاريخي" ذلك المعجم الذي:

- يؤرخ لحياة الألفاظ التي يتضمنها، منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها أو موتها؛
- متتبعا التطور الذي طرأ عليها عبر التاريخ، ولاسيما الدلالي (اتساعا وضيقا، واستقرارا واضطرابا) والاستعمالي (كثرة وقلة، ومكانا وزمانا وميدانا).

2 - مفهوم المصطلحات الصحية:

ويقصد بـ"المصطلحات الصحية" تلك الألفاظ التي تسمي مفاهيم معينة، في مجال العلوم الصحية، وهو مجال يدخل فيه علم الطب وعلم الصيدلة وغيرهما مما له صلة مباشرة بصحة الجسم الحي وكيفية صيانته.

3 - مفهوم المعجم التاريخي للمصطلحات الصحية:

- ذلك العمل العلمي
- الجامع لكل الألفاظ التي تسمي مفاهيم، في مجال العلوم الصحية،
- مرتبةَ المباني ترتيبا معجميا، لتيسير الوصول إليها،
- معروضةَ المعاني عرضا تاريخيا، لرصد التطور الدلالي والاستعمالي الذي طرأ عليها، منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها.
- وبما أن مثل هذا العمل العلمي الشامل هو عادة فوق طاقة الأفراد، ويحتاج في تخطيطه المنهجي، وتنفيذه العلمي، إلى جهود وجهود فقد صار عبارة عن مشروع من المشاريع.

ثانيا: موجبات "المشروع"

1 - الموجب اللغوي:

وأساسه الحاجة الماسة إلى معرفة تاريخ الألفاظ في اللغة العربية؛ إذ اللغة بنت الاستعمال. وكل مستعمل لابد أن يضمّن ألفاظه رؤيته.

و"لكل قوم ألفاظ"، و"لكل صناعة ألفاظ" (الجاحظ).

- إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات الصحية هو خطوة في الاتجاه الصحيح نحو المعجم التاريخي للغة العربية جملة.

2 - الموجب العلمي:

وذلك لحاجة العلوم كلها في تراثنا الممتد الضخم إلى تاريخ أمين دقيق.

فبظهور هذا المعجم يظهر المفتاح التاريخي للقراءة الصحيحة لأي مؤلَّف أو مؤلِّف أو مدرسة أو اتجاه.. في أي علم،

فيُتخلص من كثير من الخطأ في الفهم، والاضطراب في الحكم.

3 - الموجب الحضاري:

إن التحدي الحضاري الحالي لا يتصور الاستجابة له، إلا بإعادة بناء الذات، ولا سبيل إليها بغير الانطلاق من التراث، ولا سبيل إلى التراث بغير مفتاحه الذي هو المصطلحات.

وبما أن التراث ممتد في الزمان والمكان والإنسان، فإن ضرورة فهمه -على سعته- من أجل الاستيعاب، فالتقويم، فالتوظيف، تقتضي إيجاد معجم تاريخي شامل كامل لمفاتيحه التي هي المصطلحات.

ثالثا: أهداف المشروع

1 - الأهداف القريبة:

أ - إيجاد معجم تاريخي للمصطلحات الصحية المعرّفة:

ونقصد بالمصطلحات الصحية المعرّفة: كل الألفاظ العربية الاصطلاحية التي تم شرحها ضربا من الشرح، في التراث الصحي العربي الإسلامي، في أي قرن من القرون.

والغرض من ذلك هو "جمع جهود العلماء السابقين في مجال بيان المراد من الألفاظ الاصطلاحية في مجال العلوم الصحية، ووضعُها رهن إشارة الباحثين والمهتمين.

ب - إيجاد معجم تاريخي لمصطلحات العلوم الصحية:

المعرّف منها وغير المعرّف، مصنفة معجميا، ومدروسة الدراسة المصطلحية التاريخية، بعد الدراسة الوصفية.

ج - التمهيد والإسهام في إيجاد معجم تاريخي شامل لمصطلحات كل العلوم:

وهو المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، ويمثل البحر الذي تصب فيه جميع أنهار العلوم ممزوجة في كل مادة من مواده؛ ففي مادة (ع.ل.ل) مثلا: العلة لدى المحدثين، والعلة لدى الأصوليين، والعلة لدى الأطباء... وهكذا في كل مصطلح.

2 - الأهداف البعيدة:

أ - فهم التراث:

والذي يعنينا منه هاهنا، هو التراث العلمي -بالمفهوم العام للعلم-، وهو مجموع ما ورثناه من العلم عن الآباء: أصولا وفروعا.

وإن مفتاح التراث هو المصطلحات، وإنما توتى البيوت من أبوابها، وأبواب كل علم مصطلحاته...

وإن مفتاح المفتاح هو الدراسة المصطلحية للمصطلحات.

ب - تجديد بناء الذات:

وأول التجديد قتل القديم فهما كما قيل.

فإن حاجة الأمة ماسة إلى تحديد عناصر القوة في ذاتها لتفعيلها، ومعرفة مقدار ذخيرتها ونوعها، لتوظيفها والاستفادة منها في بابها وإبانها، وتَعرُّف وجوه النقص والقصور فيها لتكميلها.

بهذا المعجم تبدأ المراجعة لمصطلح الماضي، وبنتائجه تبدأ المواجهة لمصطلح الحاضر، وعلى أساسه يتم ما هو أهم من ذلك، وهو بناء مصطلح الغد؛ ذلك المصطلح الذي تتلخص علاقته بمستقبل الذات في ثلاث:

- ضرورة الإبداع المصطلحي لبناء ذات المستقبل أو مستقبل الذات، ولا إبداع مصطلحي بغير الإبداع العلمي، وإنما يسمي من ولد.
- ضرورة الاستقلال المصطلحي لحوار الذات لغير الذات، ولا استقلال للمصطلح بغير استقلال مفهومه.
- ضرورة التفوق المصطلحي كيفا وكما، لشهود الذات على غير الذات، ولا تفوق للمصطلح بغير تفوق أهله.

رابعا: مراحل المشروع

1 - مرحلة المصطلح المعرّف:

وأهم مراحلها الصغرى ثلاث:

أ - مرحلة الجمع والتوثيق: وفيها يتم التقصي لجميع المصطلحات المعرفة ضربا من التعريف، في جميع المظان، بدءا بالأقدم فالأقدم، والأغزر مادة فالأغزر، والأوثق نصا فالأوثق؛ تجمع، وتوثق في جذاذات خاصة مصممة لهذا الغرض، لتسهيل التصنيف بعد.

ب- مرحلة المراجعة والتدقيق: وفيها يتم التأكد من صحة المعلومات وتمامها وصحة تصنيفها... يدويا وحاسوبيا ما أمكن.

ج - مرحلة التصنيف والتأليف: وفيها يتم تصنيف جميع ما جمع تصنيفا تاريخيا؛ لإبراز الاهتمام به عبر التاريخ. ثم حسب فروع العلوم الصحية.

2 - مرحلة المصطلح غير المعرّف:

وأهم مراحلها الصغرى ثلاث:

أ - مرحلة الدراسة الوصفية للمصطلحات، بأركانها وشروطها المفصلة في منهج الدراسة المصطلحية.

ب - مرحلة الدراسة التاريخية للمصطلحات، بشروطها المشار إليها في منهج الدراسة المصطلحية وذلك بهدف رصد التطور في كل مصطلح.

ج - مرحلة تأليف المعجم التاريخي للمصطلحات: وهو الثمرة الطبيعية للدراستين السابقتين: الوصفية والتاريخية.

د - مرحلة تكشيف المعجم كله تكشيفا تاما، يجعل الانتفاع بما فيه في غاية اليسر.

وبهذا التكشيف تنتهي المرحلة الأخيرة من مراحل المشروع، ولا يبقى بعد ذلك إلا النشر الجيد له والتوزيع الجيد.

خامسا: وسائل المشروع

1 - الوسيلة العلمية:

والمقصود بها جمهرة الباحثين الذين ينجز بهم المشروع.

ومن شروط الباحث في المرحلة الأولى:

أ - الاختصاص في العلم الذي يسهم في جمع مصطلحاته المعرفة.

ب - الأمانة في الجمع والنقل.

ج - الضبط في التوثيق والمراجعة والتدقيق.

ومن شروط الباحث في المرحلة الثانية:

أ - الكفاءة المنهجية في الدراسة المصطلحية.

ب - الكفاءة في الصناعة المعجمية.

2 - الوسيلة المنهجية:

منهج الدراسة المصطلحية بالمفهوم الخاص، وله خمسة أركان:

أ - الإحصاء: "بالاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح.

ب - الدراسة المعجمية: بدراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية والاصطلاحية.

ج - الدراسة النصية: بدراسة المصطلح وما يتصل به، في جميع النصوص التي أحصيت قبل، بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه.

د - الدراسة المفهومية: بدراسة نتائج الدراسة النصية، وتصنيفها تصنيفا مفهوميا يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس.

هـ - العرض المصطلحي: ويقصد به الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها. ويتضمن العناصر الكبرى التالية على الترتيب:

- التعريف/ الصفات/ العلاقات/ الضمائم/ المشتقات/ القضايا.

3 - الوسيلة الإدارية:

والمقصود بها جهاز التسيير والإشراف على المشروع جملة، ويمكن تصوره بإجمال هكذا:

أ - هيأة الإشراف: وهي الحاملة لهَمِّ المشروع، المستوعبة أكثر من غيرها لتصوره، الموجهة للعاملين فيه، الباحثة عما يلزم لتمويله، المتابعة له من أوله إلى آخره.

ب - لجن التنسيق: وهي التي تتولى التنسيق بين جهود مجموعات البحث.

ج - مجموعات البحث: وهي التي تتولى مباشرةَ البحثِ في المعجم؛ باختيار الباحثين فيه، وتكوينهم، وتَدريبهم، ومتابعتهم، بتنسيق مع لجن التنسيق، وإشراف من هيأة الإشراف.

هذا وفي الطريق عوائق.

وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء. ومن سار على الدرب وصل.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الدكتور مصطفى فوضيل
المدير التنفيذي
لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)

بهذا المعجم تبدأ المراجعة لمصطلح الماضي، وبنتائجه تبدأ المواجهة لمصطلح الحاضر، وعلى أساسه يتم ما هو أهم من ذلك، وهو بناء مصطلح الغد.

العاصمة العلمية تحتضن المؤتمر الدولي السابع لتاريخ الطب في التراث الإسلامي

صورة للجلسة الافتتاحية

احتضنت مدينة فاس المؤتمر الدولي لتاريخ الطب في التراث الإسلامي، الذي انعقد بكلية الطب والصيدلة التابعة لجامعة سيدي محمد بن عبد الله، بـ فاس، بشراكة مع الجمعية الدولية لتاريخ الطب الإسلامي، ومؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة بالمملكة المتحدة، بدعم من الإيسيسكو، وذلك خلال الفترة الممتدة ما بين 24 إلى 28 أكتوبر 2016.

وشارك في المؤتمر عدد من الباحثين والعاملين في مجال الطب من دول عديدة: تركيا، والمغرب، وتونس، والمملكة العربية السعودية، ونيجيريا، والبحرين، ومصر، والأردن، وليبيا، وسوريا، بالإضافة إلى خبراء من المملكة المتحدة، وسويسرا، وإيطاليا، وفرنسا، وإسبانيا، والبرتغال، وألمانيا، والمكسيك، والولايات المتحدة الأمريكية والصين، والهند.

كما شاركت عدة مؤسسات علمية ومهنية مثل مؤسسة البحوث والدراسات العلمية مبدع، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ومنظمة الإيسيسكو، وجمعية فاس سايس.. وهيآت أخرى.

وحضر المؤتمر وزير التعليم العالي سابقا لحسن الداودي، والوزيرة المنتدبة لدى وزير التعليم العالي الدكتورة جميلة المصلي، ورئيس جامعة سيدي محمد بن عبد الله الدكتور عمر الصبحي، وعدة شخصيات حكومية أخرى، كما عرف المؤتمر حضورا للباحثين والمهتمين إعلاميا ومدنيا مكثفا.

ويعد هذا المؤتمر تتويجا لجهود الشراكة بين الدورة السابعة للمؤتمر الدولي للجمعية الدولية لتاريخ الطب الاسلامي والملتقى الرابع الذي دأبت على تنظيمه كلية الطب والصيدلة بفاس. وقد تدارس المؤتمرون مجموعة من المواضيع منها على الخصوص "الاكتشافات الطبية.. نماذج وأطر فلسفية" و"تدريس العلوم في التراث الإسلامي" و"تاريخ الطب البيطري وطب الأسنان والصيدلة" و"المصطلح الطبي في التراث العربي والإسلامي".

ويهدف المؤتمر إلى إبراز أهمية ودور تاريخ العلوم عامة والطب خاصة في نهضة العالم الإسلامي، والوقوف على أهم المحطات التاريخية للطب العام والطب البيطري وطب الأسنان في التراث الإسلامي.

كما أن انعقاد المؤتمر السابع للجمعية الدولية لتاريخ الطب الاسلامي بالعاصمة العلمية للمملكة يعد فرصة سانحة لجمع ثلة من العلماء المختصين في مجال الطب والصيدلة من المغرب ومن دول أجنبية شقيقة لإبراز ما قدمه الأجداد والأسلاف في الحقل الطبي والمعرفي.

ويعد أيضا مناسبة مواتية لتبادل التجارب والخبرات من خلال المحاضرات والعروض المبرمجة في هذا اللقاء والتي ستكون لها أهمية بالغة للوقوف عند محطات بارزة في تاريخ الطب العربي الاسلامي من أجل بلورة رؤية مستقبلية في مجال توحيد المصطلح الطبي وتدريسه باللسان العربي وتعزيز التواصل مع التراث العلمي للأمة.

كما يأتي هذا الحدث في سياق دراسة التاريخ بشكل عام والعلوم بشكل خاص حيث أضحت تحتل أهمية استراتيجية في ظل انتشار العولمة ومحاولة سيطرة ثقافة القطب الواحد، إذ أن خطر الهيمنة الثقافية تحت شعار ما يسمى بالعولمة الثقافية أصبح الشغل الشاغل لكثير من المثقفين والأكاديميين فضلا عن المؤسسات التعليمية والجامعية والأكاديميات في العديد من الدول.

جانب من الصور

إعداد: نورالدين بالخير

تاونات: «الثوابت الدينية والوطنية وأثرها في تحقيق الأمن الروحي والسلم الاجتماعي» موضوع اليوم الدراسي للمجلس العلمي المحلي

نظم المجلس العلمي المحلي لإقليم تاونات وبتنسيق مع المندوبية الإقليمية للشؤون الإسلامية وعمالة إقليم تاونات يوما دراسيا يوم الأربعاء 24 محرم 1438هـ/ 26 أكتوبر2016 بقاعة ملحقة عمالة تاونات تحت شعار: **"الثوابت الدينية والوطنية وأثرها في تحقيق الأمن الروحي والسلم الاجتماعي"**، وتضمن اليوم الدراسي سبعة عروض ومناقشة وقراءة البرقية المرفوعة لصاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله.

قدم الأستاذ مولاي هشام طاهيري العضو بالمجلس العلمي المحلي لتاونات العرض الأول في موضوع: "الثوابت الدينية والوطنية للأمة المغربية: تعريف وتأصيل وتوصيف". وقدم الأستاذ امحمد الينبعي من جامعة سيدي محمد بن عبد الله عرضا في موضوع: "العقيدة: المفهوم القرآني والبناء التربوي في تحقيق الأمن الروحي والسلم الاجتماعي". ومن نفس الجامعة قدم الدكتور محمد البنعيادي ورقة عن "محورية العقيدة الأشعرية في تحقيق وحدة الأمة المغربية". ومن المجلس العلمي المحلي لجرادة تناول الأستاذ عزيز الصرغيني موضوع: "الاختيارات الفقهية المالكية ودورها في تثبيت الأمن الروحي وترسيخ السلم الاجتماعي: نماذج من فقه الصلاة"، في حين تناول الأستاذ عبد السلام البلغيتي من المجلس المحلي لبولمان عرض حول "آثار الخلاف المرعي في تحقيق السلم الاجتماعي"، وقدم الباحث بمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) الدكتور يوسف العلوي موضوعا عن "المدرسة الشاذلية: وإنتاج المرجعية المغربية في التصوف"، ليختم الدكتور رضوان غنيم أستاذ مساعد بكلية العلوم الشرعية بالسمارة العروض بموضوع عن: "إمارة المؤمنين وأثرها في تحقيق الأمن الروحي والسلم الاجتماعي".

وبعد المناقشة تلا الأستاذ محمد جوهر عضو المجلس العلمي المحلي لتاونات برقية الولاء المرفوعة لصاحب الجلالة حفظه الله.

إعداد: يوسف السطي

فاس: أنشطة مكثفة استعدادا للمؤتمر العالمي للبيئة (cop22)

شهدت مدينة فاس في الشهر الجاري أنشطة متنوعة ومكثفة في مجال البيئة تحضيرا لمؤتمر الأطراف (كوب22) القمة التي ستنعقد بمراكش الشهر القادم كأول خطوة نحو تفعيل اتفاقية الإطار للأمم المتحدة حول التغيرات المناخية (كوب 21) التي كانت قد انعقدت بباريس، حيث نظمت بالعاصمة العلمية عدة ندوات ومحاضرات حول التغير المناخي وكيفية معالجة هذا التحدي العالمي، وإبراز دور الإسلام في المحافظة على البيئة.. وغيرها من النقط، ومن هذه الأعمال نذكر على سبيل المثال:

● محاضرة بعنوان: **"تغير الباطن وأثره على البيئة"** ألقاها الأستاذ أحمد الورايني رئيس المجلس العلمي المحلي بتازة برحاب كلية الشريعة بفاس، وذلك يوم 18 أكتوبر 2016، نظمت بشراكة بين جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس والمجلس العلمي المحلي لتازة.

● وفي نفس إطار الإعداد لمؤتمر البيئة وتحت شعار: **"الجامعة في خدمة المناخ"** نظمت كلية الشريعة بشراكة مع شبكة القرويين للتنمية والحكامة ندوة علمية في موضوع: **"البيئة والإسلام"** وذلك يوم الجمعة 21 أكتوبر 2016 بمركز الندوات بالكلية. وعرفت حضورا وازنا علميا وإعلاميا ومدنيا..

● كما نظمت جمعية التراث والتواصل الأورو متوسطي بشراكة مع جامعة سيدي محمد بن عبد الله وعدة فعاليات حكومية ومدنية، ندوة علمية وطنية حول موضوع: **"التغيرات المناخية ورهانات التنمية الاقتصادية، الاجتماعية، والسياسية"** يوم السبت 22 أكتوبر 2016 بقصر المؤتمرات بفاس، حيث هدفت الندوة إلى ضرورة الوعي بالتحديات الناجمة جراء تغير المناخ لإعطاء تصور مستقبلي للواقع السياسي ضمن البيئة الدولية، حيث تم تسليط الضوء على مشكلة الاحتباس الحراري وآثارها البيئية والسياسية والاقتصادية في العالم.

● ومن جهة أخرى أطلقت جامعة سيدي محمد بن عبد الله عدة مبادرات؛ الأولى: مبادرة الرياضة في خدمة المناخ، والثانية: مبادرة غرس 1000 شجرة من أجل المناخ، والثالثة بعنوان: العلم في خدمة المناخ، ورابعة: الابتكار من أجل المناخ، كما جعلت من الأحد 23 أكتوبر يوما بدون سيارات. وعرفت هذه المبادرات إقبالا قويا من المهتمين والطلبة ووسائل الإعلام وحضورا للوزيرة المنتدبة لدى وزير التعليم العالي ووالي فاس وجهات حكومية ومدنية.

تحسين نمط الاتصال والتواصل في العلاقات الأسرية (2)

كيف تتعامل أيها الزوج مع زوجتك؟:

توجيهات خاصة جداً من جلسات العلاج النفسي العميق والعلاج العائلي ونصائح مجربة آتت نتائج مبهرة:

1 – أن تفهم طبيعة شخصيتها، فلكل امرأة شخصيتها ولكل شخصية مفاتيحها التي تسهل فهمها والتعامل معها.

2 – أن تفهم ظروف نشأتها؛ لأن تركيبة أسرتها ونمط العلاقات بين أفرادها وطبيعة شخصياتهم لها تأثيرات كبيرة على شخصية زوجتك وسلوكها الحالي.

3 – أن تحبها كما هي، ذلك الحب غير المشروط الذي يتجاوز عيوبها ويتجاوز تفاصيل شكلها ولحظات ضعفها؛ أي أنك تحبها هي بكل كيانها وبكل جمالها وبكل نقصها وبكل قوتها وبكل ضعفها.

4 – أن ترضى بها رغم جوانب القصور، فلا توجد امرأة كاملة (أو رجل كامل) على وجه الأرض، ولابد أن ينقصك شيء في أي امرأة تتزوجها حتى لو كنت اخترتها بعد استعراض كل نساء الأرض، فالرضا هو مفتاح الحياة السعيدة، وعسى أن تكره فيها شيئا ومع هذا يجعل الله فيها خيرا كثيرا.

5 – أن لا تكثر من انتقادها، فالمرأة لا تحب من ينتقدها بكثرة (حتى ولو كان النقض في محله)؛ لأن ذلك الانتقاد المتكرر دليل الرفض وقدح في الحب غير المشروط الذي تتوق إليه المرأة.

6 – أن تحترمها، فهي أولا: إنسانة كرمها الله، وثانيا: زوجتك التي اخترتها من بين نساء الأرض، وثالثا: أم أولادك وبناتك، ورابعا: حافظة سرك وخصوصياتك، وخامسا: راعية سكنك وراحتك وطمأنينتك.

7 – أن تستشيرها، واستشارتها تنبع من احترام إنسانيتها واحترام عقلها وتقدير وجودها.

8 – أن تحبها، فالحب هو أعظم نعمة ينعم الله بها على زوجين، ومنه تنبع كل أنهار السعادة والتوفيق والنجاح.

9 – أن لا تخنقها بحبك، فالحب الزائد يعوق حركتها ويربكها ويجعلها زاهدة فيه وفيك.

10 – أن تكون محور حياتك، بمعنى أن ترتب حياتك وعلاقاتك ومواعيدك وهي حاضرة في وعيك لا تغيب عنه.

11 – أن تعرف تقلباتها البيولوجية (الدورة الشهرية والحمل والولادة) وتقدر حالتها النفسية أثناءها.

12 – أن تكون سعادتها أحد أهدافك المهمة.

13 – أن تحترم أسرتها وتحتفظ بعلاقة طيبة ومتوازنة معها، وأنت تفعل ذلك رغم احتمال وجود اختلافات في وجهات النظر مع أفراد أسرتها، واحترامك لهم يأتي من محبتك لزوجتك، وبرك لهم هو جزء من برها.

14 – أن تحتفظ بحالة من الطمأنينة والاستقرار في البيت (مفهوم السكن).

15 – أن تظهر مشاعرك الإيجابية نحوها بلا تحفظ أو خجل (المودة).

16 – أن تسيطر على مشاعرك السلبية نحوها خاصة في لحظات الغضب، وتحاول أن تجد لها عذراً أو تفسيراً، وإذا لم تجد فيكفي أن تعلم أنه لا يوجد إنسان بلا أخطاء أو عيوب.

17 – كن مستعداً للتسامح ونسيان الأخطاء في أقرب فرصة ممكنة (مفهوم الرحمة).

18 – اجعلها تشعر بمسئوليتك عنها ورعايتك لها، فهذا يجعلك رجلاً حقيقياً في عينها، فالمرأة (السوية) دائماً بحاجة إلى الإحساس بمن يرعاها ويكون مسئولاً عنها؛ لأن الرعاية والمسئولية هي العلامات الحقيقية للحب.

19 – أشعرها بأنوثتها طول الوقت وامتدح فيها كل معاني الأنوثة: الجمال.. الرقة.. الحب.. الحنان.. الشرف.. الطهارة.. الإخلاص.. الوفاء.. التفاني.. الانتماء.. الاحتضان.

20 – اهتم بالأشياء الصغيرة في العلاقة بينكما: تذكر المناسبات السعيدة، قدم الهدايا ولو كانت بسيطة في تلك المناسبات وفي غيرها، امتدح كل شيء جميل فيها، اخرجا في نزهة منفردين ومارسا فيها طقوس الحب، اذهبا في أجازة "معاً" لمدة يوم أو يومين، استمع لكلامها وتفهم أفكارها جيداً حتى ولو كانت دون أفكارك أو مختلفة عنها؛ لأن أفكارها تمثل الجانب الأنثوي والرؤية الأنثوية للحياة وأنت تحتاجها لتكتمل رؤيتك.

21 – استقبل همساتها ولمساتها ومحاولات قربها وزينتها بالحفاوة والاهتمام، وبادلها حبا بحب وحنانا بحنان واهتماما باهتمام.

22 – تزين لها كما تحب أن تتزين لك، وتودد لها كما تحب أن تتودد لك.

23 – احترس من الشك في علاقتك بزوجتك، فالشك اتهام وعدوان، وهو يفتح أبوابا للشر لم تكن مفتوحة من قبل أمام زوجتك.

24 – تجنب إهمالها جسدياً أو نفسياً أو عاطفياً؛ لأن الإهمال يقتل كل شيء جميل في العلاقة، وربما يفتح الباب لاتجاهات خطرة بحثاً عن احتياج لم يشبع.

25 – حافظ على استمرار الحوار بينكما "بكل اللغات" اللفظية وغير اللفظية، فلا تبخل بكلمة حب، ونظرة إعجاب، ولمسة ود، وضمة حنان.

26 – تعامل معها بكل كيانك دون اختزال (الطفل – الوالد – الراشد): تكون ابنها أحياناً فتفجر لديها مشاعر الأمومة.. أو تكون أباً لها فتفجر فيها مشاعر الطفولة.. أو تكون صديقا لها فتستمتع بحالة الصداقة.

27 – جدد حالة الرومانسية دائماً في حياتكما، ولا تتعلل بالسن فلا يوجد سن يتوقف عنده الحب، ولا تتعلل بالمشاغل فزوجتك هي أحد أهم شئونك، ولا تتعلل بنقص المال فالرومانسية هي الشيء الوحيد الذي لا يحتاج لمال.

28 – كن فارس أحلامها برجولتك وإنجازاتك، فهي تحبك دون شروط؛ ولكنها تريدك ملء عينيها وقلبها، وتريد أن تفخر بك أمام نفسها وغيرها، فلا تحرمها من ذلك.

29 – كن كريماً في رضاك ونبيلاً في خصومتك، فهذه من علامات الرجولة الحقيقية.

30 – التزم الصدق والشفافية معها، فالعهد بينكما لا يحتمل الخداع أو المواربة أو التخفي أو لبس الأقنعة، فكل هذه الأشياء بمثابة حواجز تفصلكما.

31 – شاركها الشعور بالجمال أمام منظر بحر أو لحظة غروب أو جمال زهرة أو روعة موقف.

32 – احذر البخل في المال أو المشاعر أو الجنس.

33 – راع التوازن بين المرح والجدية، وبين اللين والحزم، وبين الخيال والواقعية.

34 – أشعر زوجتك بالأمان، فهذا الشعور من الاحتياجات الفطرية للإنسان عموما وللمرأة على وجه الخصوص.

35 – تذكر أن علاقتك بزوجتك علاقة شديدة القرب، شديدة الخصوصية، وأنها علاقة أبدية، وهي أبدية بمعنى امتدادها في الدنيا واستمرارها في ثوب أجمل وأروع في الآخرة.

36 – لا تدع مشكلات أسرتك الأصلية أو أسرة زوجتك الأصلية تدخل مجال الأسرة الصغيرة، راع التوازن في العلاقات المختلفة فلا تطغى علاقتك بأمك على علاقتك بزوجتك أو العكس.

37 – لا تنم في غرفة منفصلة أو سرير منفصل مهما كانت المبررات والأسباب.

38 – اهتم بأن تكون العلاقة الجنسية في أحسن صورها وأكمل فنونها لكي تسعدا بها معا وينعكس ذلك على باقي نواحي حياتكما، فهذه العلاقة هي ترمومتر العلاقة الزوجية، فالسعادة الزوجية تبدأ من الفراش، وأيضا الطلاق في 90% منه يبدأ من الفراش.

39 – حافظ على الخصوصية المطلقة لعلاقتكما بكل أبعادها، ولا تنقض هذه الخصوصية أبدا حتى في أشد حالات الخصومة، فما بينكما ميثاق غليظ يسألك عنه الله تعالى.

40 – اهتم بالتواصل الروحي بينكما من خلال علاقة صافية بالله وأداء بعض الطقوس الدينية معا ً، كالصلاة وقراءة القرآن والدعاء والحج والعمرة وسائر أعمال الخير.

41 – تجنب ضرب زوجتك أو إهانتها، فليس من المروءة أن يضرب رجل امرأة، وليس من الكرامة أن تهين مخلوقة كرمها الله (حتى ولو أخطأت)، وليس من الأخلاق أن يرى أبناؤك أمهم في هذا الوضع، وتذكر لو أن لك ابنة أترضى أن يضربها زوجها مهما كانت الأسباب.

42 – ساعد على تكوين صورة إيجابية ومتميزة لها لدى الأبناء، فذلك يسمح بعلاقة طيبة بينها وبينهم ويعطها قدرة أكبر على ممارسة دورها التربوي معهم حين يرونها زوجة وفية وأما عظيمة في نظرك ونظرهم.

43 – إذا أحببتها فأكرمها وإذا كرهتها فلا تظلمها، فهذه هي صفات الزوج النبيل الكريم العظيم كما وصفها سيدنا الحسن رضي الله عنه.

44 – في حالة التفكير في الطلاق أو حدوثه –لا سمح الله– فكن راقياً متحضراً في إدارة الأزمة واستبق قدراً من العلاقة الإنسانية يسمح بالإشراف المشترك على تربية الأبناء، ولا تحاول استخدامهم في الخلاف بينكما ولا تحاول تشويه صورة مطلقتك أمام أبنائها.

ذ. محمد بوهو

من صفات المدرس الناجح (2): إجراءات ديداكتيكية لتنزيل المادة المعرفية

عبد الحفيظ حميش

تكملة لما سبق ذكره في المقال السابق؛ والمنشور في جريدة المحجة العدد 464، وقد تحدثت فيه عن صفات المدرس وحصرتها في أمرين اثنين:

أولهما: الصفات العلمية، **وثانيهما:** الصفات الذاتية. وتناولتهما باقتضاب واختصار شديدين، ولذلك لابد من العودة للتفصيل والتوضيح أكثر لكل منهما، حتى تتضح الصورة بجلاء ووضوح، وسأقتصر في هذا المقال على الصفة العلمية للمدرس الناجح، وما يتطلب ذلك من إجراءات ديداكتيكة وبيداغوجية لتنزيل المادة المعرفية.

الصفات العلمية: إجراءات ديداكتيكية لتنزيل المادة المعرفية.

لما كانت مهنة التدريس من أشرف المهن التي مدح بها الله تعالى ورسوله ﷺ طالب العلم ومتعلميه؛ لأن ذلك غير محصور في الزمان والمكان، فالإنسان في تعلم مستمر يتعلم صغير الأشياء وكبيرها؛ دقها وجلها، وعليه فإن كل من أسندت له مهمة التدريس يجب عليه أن يحقق الصفة العلمية من جهة، وما تتطلبها من شروط ديداكتيكية وبيداغوجية من جهة أخرى؛ لأن ذلك من شأنه أن يساعد المتعلم على الفهم والاستيعاب، وكما هو معلوم أن المادة المعرفية ينبغي عند تنزيلها أن تمر وفق ثلاثة عناصر ديداكتيكية وبيداغوجية يمكن إجمالها في الآتي:

أولا: المعرفة العالمة:

وأقصد بالمعرفة العالمة ما تحتويه بطون أمهات كتب العلوم الشرعية، حيث إن هذا النوع من المادة المعرفية لا يستطيع أن يفهمها المتعلمون، خصوصا المبتدئون في مسيرة طلب العلم، لأن بعض الكتب من أمهات المصادر والمراجع القديمة تحتوي على ألغاز ومصطلحات قلّ من يستطيع أن يفك لغزها ومعانيها ويشرح مشكلها ومجملها ومعانيها، والمطالع لبعض الكتب في مختلف العلوم الشرعية قديما يعرف ذلك جيدا، حتى إنك لتجد بعض العلماء وضعوا على كتاب واحد شروحا وحواشي وطررا كثيرة ومتعددة، وهناك من العلماء من كتب حاشية على حاشية، نظرا لما كانت تحتويه بعض الكتب من عبارات غامضة؛ ومصطلحات معقدة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن العلماء قديما كانوا يفهمون العربية جيدا؛ بكل قواعدها وتصاريفها وبلاغتها وغير ذلك.

وعليه: فإن الكتب التي تحوي المعرفة العالمة لا يستطيع أن يفهمها إلا العلماء والباحثون الذين لهم باع طويل في العلم والمعرفة، ولهم مراس في القراءة والبحث.

ثانيا: المعرفة التعليمية– المتعلمة:

أقصد بالمعرفة المتعلمة ما كتب في الكتب المدرسية بمختلف المستويات؛ لأن تلك المعارف المبسطة نقلت من مستوى أعلى وهو مستوى العالم؛ إلى مستوى أدنى منه وهو مستوى المتعلم، وجميع تلك المعارف لا تعدو أن تكون بعض النصوص الشرعية على قلتها، إضافة إلى بعض المقتطفات من النصوص الفكرية لبعض العلماء أيضا؛ مع شرح وتبسيط لبعض التعريفات والمفاهيم.

لذلك يقتضي العمل من المدرس أن يتحقق من هذه المعرفة المتعلمة قبل الإقدام على تدريسها للمتعلمين، وذلك من حيث التثبت من الأحاديث –إن وجدت– ويميز منها المقبول من المردود والصحيح والحسن من الضعيف، وهذا النوع الأخير فيه مراتب متعددة مبسوطة في كتبها، كل ذلك من أجل أن يكتسب المتعلم معارف صحيحة ومتينة، مبنية على دليل صحيح، من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، إذ المعارف تبنى ولا تعطى، وهذا الأمر هو الغائب عند بعض المدرسين، فالمتعلم يبني تعلماته بنفسه أحيانا؛ وبمعية الأستاذ استرشادا وتوجيها ليس إلا، ولما يتحقق المدرس من المعرفة المتعلمة، ويميز بين الصالح منها من غير الصالح ينتقل إلى خطوة أخرى أساسية ومهمة هي الآتية:

ثالثا: المعرفة التعلمية

←

السياسة الشرعية وعلاقتها بمقاصد الشريعة

يتصل البحث في السياسة الشرعية اتصالا وثيقا بالعلوم الشرعية عموما، خصوصا العلوم المتصلة بالمقاصد، من قبيل علم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه، كما يتصل أكثر بفقه الواقع وفقه التنزيل، وبهذا اكتسى هذا النوع من البحث أهميته، وتجلت قيمته.

وإن الناظر إلى منظومة التشريع الإسلامي يلحظ جليا انقسامها إلى ثلاثة أفقاه، فقه الدين، وفقه الواقع، وفقه التنزيل، فإذا كان التمكن من أحكام الدين وحِكمه والتمرن على أصوله في الاستدلال هو مجال الفقه الإسلامي، فإن مجال السياسة الشرعية أوسع من هذا حيث تبحث في القضايا الرابطة للوقائع بالواقع، محاولة سبر كل المكونات، من أجل تنزيل مقاصدي مبني على تحقيق مناطات الأحكام.

وفي هذه العملية كلها لا بد من مراعاة مقاصد التشريع عن طريق اعتبار المآلات ومراعاة المصالح والمفاسد، ليتجلى بذلك التكامل الذي تجسمه منظومة التشريع الإسلامي، في الجمع بين مجموعة من العلوم في دفعة واحدة عند الاستنباط ..

وتعتبر مقاصد الشريعة الأصل الأصيل الذي لا يمكن أن يتخلى عنه الفقيه عند النظر في شؤون الرعية وأحوال الناس، فلا تكون السياسة سياسة إلا عندما تنطلق من هذا الوعي محاولة جلب المصالح العامة، ودرء المفاسد، دون استئناس بالهوى أو العاطفة.

ومن خلال هذا المقام سنحاول إبراز العلاقة الوطيدة بين مقاصد الشريعة والسياسة الشرعية وذلك من خلال محورين اثنين يتلخصان في الجملة التالية: السياسة الشرعية ومقاصد الشريعة مقاصد وقواعد.

مقاصد السياسة الشرعية وعلاقتها بمقاصد الشريعة:

من المعلوم أن العلوم الإسلامية متكاملة وتتداخل مباحثها فيما بينها، ويعتبر علم مقاصد الشريعة جوهر العلوم الإسلامية، خصوصا إذا علمنا أن العلوم إما مقاصد وإما وسائل، وعلوم الوسائل ليست مقصودة لذاتها إنما جيء بها من أجل الوصول إلى مقاصد التشريع والحكمة منه، وبهذا يمكن أن نقول: إن العلوم الإسلامية كلها ترتبط بعلم مقاصد الشريعة ارتباطا وثيقا، لكنها تتفاوت في هذا الارتباط بحسب اختلاف مناهجها وقواعدها.

ويمكن أن نعتبر السياسة الشرعية من ألصق العلوم بعلم مقاصد الشريعة، خصوصا وأن علم السياسة الشرعية جاء ليدير شؤون الرعية بما يحقق مصالحها ويدفع عنها المفاسد، فهو علم محدث في الملة اقتضاه واقع الاجتماع البشري الذي تؤطره العلاقة بين الراعي والرعية.

فإذا كان المقصد من السياسة الشرعية وتنظيم شؤون الراعي والرعية كما يقول الإمام الجويني: "والغرض الأعظم من الإمامة جمع شتات الرأي، واستتباع جل أصناف الخلق على تفاوت إرادتهم، واختلاف أخلاقهم ومآربهم وحالاتهم، فإن معظم الخبال والاختلال يتطرق إلى الأحوال من اضطراب الآراء، فإذا لم يكن الناس مجمعين على رأي واحد، لم ينتظم تدبير، ولم يستتب من إيالة الملك قليل ولا كثير، ولاصطلمت الحوزة، واستؤصلت البيضة"(1) فإن هذا هو عين مراعاة المقاصد من حيث جلب المصالح ودرء المفاسد للرعية في علاقتها بالراعي لأمرها وهو الإمام.

ويؤكد هذا المعنى ابن تيمية مبينا مقصود الولايات في قوله: "جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا"(2)، ويقول في نفس السياق: "وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(3).

من خلال هذا العرض السريع لأقوال الأئمة في بيان ارتباط السياسة الشرعية بمقاصد الشريعة من حيث البعد المقاصدي، يمكن أن نقول: إن السياسة الشرعية متحدة المقصد مع مقاصد الشريعة، فالغاية من السياسة الشرعية بنظمها وقواعدها ونوازلها هو تحقيق مصالح الناس الدينية والدنيوية، وهو عين ما يلاحظه علم مقاصد الشريعة، وإنما اظ لخلاف بين العلمين في الوسائل وتنوعها في سبيل الوصول إلى المصالح، فعلم السياسة الشرعية وجه آخر من أوجه علم مقاصد الشريعة، هو وجه مرتبط أساسا بالواقع ونوازله التنظيمية والسياسية التي تؤطرها العلاقة بين الراعي والرعية، وهذه الصفة اختصت السياسة الشرعية بالبحث فيها، ليبقى علم مقاصد الشريعة علما أعم من السياسة الشرعية لشموله للأحكام الفقهية وتأصيله لمبدأ المصالح و المفاسد في نطاقها، وللأحكام العقدية وغيرها من الأحكام، ولكونه علما تدور في فلكه جميع العلوم الإسلامية.

1 – غياث الأمم في التياث الظلم للجويني ص18
2 – الحسبة لابن تيمية ص6
3 – الحسبة ص11

يتبع

ذ. صهيب مصباح

الزور: مفهومه وأضراره الاجتماعية

مقدمة:

لقد شاهدنا أيام الحملة الانتخابية ممارسات عديدة، وأشكالا من المعاملات المختلفة، وألوانا من الخطابات المبكية المضحكة، وقرأنا برامج ذات عناوين بارزة وواضحة. وقد بدا لي أن هناك أمورا كثيرة وخطيرة جدا، سقطنا فيها أيام هاته الحملة –ولا قدر الله– إذا لم تعالج، ولم تنسخ من أدهاننا وأفعالنا، فسنظل على هذا الوضع الكارثي إلى ما شاء الله تعالى.

وأول العراقيل وأبرز المشاكل التي شوهدت بوضوح، وموورست بالسر والعلن: الزور. فما مفهومه؟ وما هي أضراره على المجتمع؟.

1 – مفهوم الزور:

عرف علماء اللغة الزور بتعريفات متقاربة ومتنوعة، تقرب القارئ من حقيقته، وتوضح ماهيته للباحث عن دلالته، ولعل أحق التعاريف وأقربها لواقعنا اليوم، ما ذكره ابن فارس بقوله: "الراء والواو والزاي أصل واحد يدل على الميل والعدول. من ذلك الزور: الكذب لأنه مائل عن طريق الحق...".

فالزور إذن كذب، والزور ميل عن الحق، والزور عدول عن الصواب، ولا ينبغي حصر مفهوم الزور في: شهادة الزور–العرفية– التي تؤدى أمام القاضي، بل إن مفهوم الزور شامل لكل تغيير للحقائق، وعام لكل تحويل عن الصواب، سواء كان بالكلام، أو بالإشارة، أو بالكتابة، أو غير ذلك مما يموه الماهيات، ويفسد البدهيات. فهذا المفهوم للزور غاب عن الناس اليوم بشكل شبه قطعي، مما جعله ينتشر بشكل واسع، ويكتسح مجالات متعددة ومتنوعة. ويضيف أبو هلال العسكري تمييزا آخر وخصيصة أخرى للزور فيقول: "الزور هو الكذب الذي قد سوي وحسن في الظاهر ليحسب أنه صدق...".

فالزور دائما هو كذب، لكنه مزين ومجمل ومزخرف؛ لأجل تغطية ما به من سموم، وإلباسه الصراحة والصدق، ليقبله الناس، ويصدقونه بصدر رحب، وبانشراح واسع، أليس مثل هذا المفهوم منتشرا في واقعنا بأشكال مختلفة وبشمولية مخيفة جدا؟؟ وما الحملة الانتخابية عنا ببعيدة، فكم من جاهل أصبح فيها عالما، وكم من فاسق أصبح فيها صالحا، وكم من بليد جبان أصبح سياسيا محنكا، واللائحة طويلة، أليس في هذا استخدام للزور؟ وإقبار للحقائق؟.

2 – الأضرار الاجتماعية:

فالزور أضراره كثيرة، ومفاسده خطيرة، وعواقبه وخيمة، وأشدها ضررا وفتكا ما يلي:

أ– إسناد الأمور إلى غير أهلها: فالزور عندما يطبق ويفعل في الحياة الاجتماعية، يرد طالحها صالحا، وجاهلها عالما، وبخيلها زاهدا، فإذا أصبح الوضع هكذا، سيبعد منها المؤهلون، ويقرب إليها الخائنون، ويوضع مكان الحجر ترابا ومكان التراب حجرا؛ لأن الباطل لا يلد إلا الباطل، فأين هي ثقافة: الرجل المناسب في المكان المناسب.

إننا نجد اليوم في واقعنا هذه الحقيقة المرة مطبقة ومجسدة من ألفها إلى يائها، نجد الطبيب مسؤولا عن التعليم، والقانوني مسؤولا عن الصحة، والعالم الفقيه مسؤولا إداريا، والرجل التربوي الإداري فقيها مدرسا، وهكذا دواليك، وقديما قال المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا .... مضر كوضع السيف في موضع الندى.

من الذي جعل وضعنا هكذا؟؟ وما السبب في فشل كثير من قطاعاتنا الاجتماعية؟؟ فقطاع الصحة مثلا مريض طريح الفراش، وقطاع التعليم يحتضر؟؟. –كما تعلمون–. فالزور–يا أحبتي– هو السبب وهو الفاعل الأكبر لهذه المشاكل كلها.

ب – إبعاد الأمور من يد أهلها: وهذا الخطر ناتج عن السابق، فإذا أسندت الأمور إلى غير أهلها معناه أنها انتزعت من يد أهلها، وسلبت من حضن المستحقين لها. وبتحقق هذه النتيجة، سيحرم الزور الأمة والمجتمع، من تولي الأكفاء مقالد أمورها، ومن وضع القيادة بيد المؤهلين لحملها. فهذه جناية ما بعدها جناية، وتخريب ما بعده تخريب، وظلم لكل من يمشي على الأرض، وهو من كان السبب الحقيقي في تسمية أمتنا بالرجل المريض، وهذا كان قديما، أما الآن فقد وصل بها إلى الموت (الرجل الميت).

إن العالم كله يشهد لأمتنا بالكفاءة العلمية والسياسية والاقتصادية والحربية والتربوية، في كثير من أفرادها، وفي عدد كبير من مواقعها الجغرافية، فمن منع هذه النخبة الكفأة وهذه الذخيرة الذهبية من تولي مناصب القرار، والجلوس في كراسي التدبير والتنظير والتخطيط؟؟ إنه الزور.

فعلى الأمة أن تعود إلى شيوع ثقافة وقاعدة: الرجل المناسب في المكان المناسب، وأن تحارب كل أشكال الزور، وكل ألوان التحريف، إذا أرادت الرجوع إلى مجدها، والعودة إلى رياستها، فالعرب تقول: السيف بضاربه. فاللهم أبعد عنا الزور، وبعدنا من الزور، وردنا إلى دينك ردا جميلا يا رب.

جواد الزوين

عندما يتحقق المدرس ويميز بين المعرفة العالمة والمعرفة التعليمية؛ تبقى أمامه خطوة أخرى وهي المعرفة التعلمية، وأقصد بذلك ما يتم نقله من الكتب المدرسية إلى المتعلمين داخل الفصل، وهو ما يصطلح عليه بالنقل الديداكتيكي للمعرفة، وهنا تظهر حنكة المدرس حينما يستطيع أن يحقق أهداف التعلم بطريقة بسيطة ويسيرة دون تعب أو ملل. –وفرق كبير بين أهداف التعلم وأهداف التعليم–.

أهداف التعلم يتعاقد المدرس مع المتعلمين على تحديدها في بداية كل درس أو حصة أو بداية الأسبوع، أما أهداف التعليم فهي التي تحددها الوزارة المسؤولة من خلال الوثائق الرسمية تكون بمثابة مخرجات التعليم المنتظرة من كل فصل دراسي أو من كل سنة.

إن تحديد الأهداف يعتبر أول خطوة يجب على المدرس استحضارها قبل أي شيء، ثم بعد ذلك يدخل في مناقشة الدرس مع المتعلمين من خلال عرض العناصر الأساسية الكبرى للدرس، لأن هذا الأمر يساعد المتعلمين على استيعاب التصور العام والكلي للدرس؛ قبل التفصيل في الجزئيات. وقد ثبت عمليا في النظريات التربوية الحديثة أن المتعلم عموما يفهم ويستوعب جيدا حين ما تنتقل به من الكليات إلى الجزئيات؛ ومن العام إلى الخاص، فالمعارف التي تكتسب بهذه الطريقة تكون أدوم من المعارف التي تكتسب بطريقة عشوائية؛ حيث لا يستطيع المتعلم معها التمييز بين ما هو كلي وما هو جزئي، وهذه الطرق تمكن المتعلم من اكتساب مجموعة من المهارات والقيم على مستوى التطبيق والتركيب والدمج وغير ذلك من المهارات المنتظر تحقيقها والمنصوص عليها في الوثائق البيداغوجية الرسمية.

إن التدريس وفق هذا المنهج يساعد كلا من المدرس والمتعلم على تحقيق مجموعة من الأهداف منها:

– التمييز في المعارف بين ما هو من الضروري وما هو احتياجي وتحسيني وغير ذلك من الثنائيات.

– يجعل العمل يسير وفق خطوة ثابتة وطريقة محكمة بعيدا عن الارتجال والعشوائية.

– يساعد على تحقيق الهدف في أقرب وقت وبأيسر الطرق.

كل هذا لا يمكن تحقيقه إلا إذا سبقته رغبة أكيدة من المدرس في تطوير عمله، وتخطيط مسبق يكون محكما وهادفا حتى يحقق كل ما تم الحديث عنه.

وينبغي للمدرس من خلال ما سبق أن يبذل جهدا في عمله وأن يحب مهنته بعز وشرف، ثم يداوم على المطالعة والقراءة، ويؤدي واجبه على أحسن ما يرام، آنئذ يمكن أن تحقق فيه فعلا صفة المدرس الناجح، هذا من حيث صفة العلمية، أما عن صفة الذاتية فهي موضوع العدد المقبل بإذن الله تعالى.

تأملات لسانية في التركيب القرآني

د . محمد الغريسي

تمهيد:

النص القرآني نص لغوي منسوج من جنس لسان العرب، وهو معجز بكل المقاييس؛ يراه الأديبُ معجزاً، ويراه اللغوي معجزاً، ويراه أرباب القانونِ والتشريع معجزاً، ويراه علماء الاقتصاد معجزاً، ويراه المربون معجزاً، ويراه علماء النفس معجزاً، ويراه علماء الاجتماع معجزاً، ويراه المصلحون معجزاً، ويراه كل راسخ في علمه معجزا، وسيبقى النص القرآني أرقى نص لغوي عرفته البشرية، أعجز العرب والإنسانية جمعاء عن الإتيان بمثله بدليل قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (الإسراء: 88). من هنا سحر القرآن العرب بكماله وبهرهم بروعته وحسن بيانه وتركيبه؛ لأنه أحدث هزة عنيفة في العبقرية العربية (1).

كيف يمكن استثمار اللسانيات، إذن، في إظهار الإتقان في تركيب القرآن، وكيف يمكن أن تمكننا من الوقوف على بعض ملامح الإتقان وتجلياته في التركيب القرآني.

يسعى هذا المقال إذن إلى استنباط بعض خصائص التركيب القرآني واكتشاف أسراره وتحديد مواطن جمالياته ومظاهر الإتقان فيه، وتعميق النظر في بعض جمله وتراكيبه من خلال استثمار ما يناسب من الآليات والأدوات اللسانية واقتراح نماذج تحليلية.

1 - إسهام ا للسانيات في تفسير الخطاب القرآني:

إن اللسانيات دراسة علمية تهدف إلى وصْف وتحليل اللغات الطبيعية من حيث بنْياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والتداولية.

وقد شهد الحقل اللساني في العالم العربي تطورا كبيرا على المستوى النظري والتطبيقي، حيث عرف البحث اللساني العربي تقدما ملموسا تميز فيه اللسانيون العرب بتجديد آلياته، وتعميق النظر في الظواهر، واقتراح نماذج تحليلية مكنت من تقديم معالجة جديدة، أنيقة وفعالة لقضايا لغوية متنوعة شملت الصرف والصواتة والتركيب والدلالة مما مكن من مراجعة بعض قضايا النحو التقليدي العربي لفائدة تصور لغوي جديد تدعمه نظريات لسانية عربية متكاملة.

أما عن اللسانيات في علاقتها بالنص القرآني، فالصواب أن القرآن الكريم هو أصل للمعرفة؛ لأنه معرفة أولى لا تنقضي عجائبه، والصواب أيضا أن يكون القرآن أصلا للسانيات تستوحي من حوضه الفياض؛ خاصة إذا علمنا أن النص القرآني يختلف كثيرا عن كلام البشر.

وعموما يمكن أن نشير إلى بعض القضايا التي يمكن أن تساهم بها اللسانيات في علاقتها بالقرآن، وسنركز الحديث عن اللسانيات التوليدية (2).

- إن اللسانيات تمكننا من معرفة هندسة الجمل في تركيب القرآن، كما بإمكانها أن تزود المفسر للنص القرآني بآليات وأدوات لسانية تركيبية تمكن من توضيح بعض مظاهر الإتقان في تركيب القرآن.

ومن حيث الجهاز المفاهيمي فإن اللسانيات التوليدية يمكن أن تمد المفسر للنص القرآني بجهاز مفاهيمي يمكن استثماره في تحليل تركيب ودلالات النص القرآني.

من جهة أخرى إن في آيات القرآن الكريم الجواهر اللغوية والمعنوية التي لم يتم اكتشافها بعد بل لا نهاية لها مما يقتضي التسلح بما يناسب من الآليات اللسانية لإظهار الإتقان في تركيب القرآن، وبعبارة أدق إن القرآن الكريم له أسرار لغوية كثيرة في مفرداته ومعانيه وتركيبه، وهذه الأسرار اللغوية، تقتضي من الباحث أن يغوص في بحر اللغة القرآنية. وقبل توضيح بعض الآليات اللسانية يجدر بنا أولا أن نظهر أهم خصائص التركيب القرآني.

- التركيب القرآني: خصائص لسانية

إذا تأملنا لسانيا في تركيب القرآن بدقة يتبين أنه تركيب محكم فريد معجز، نسجت مفرداته بطريقة محكمة، حيث انصهرت هذه المفردات في بوتقته الدلالية والبيانية، فإذا هي وصف آخر من السبك والنظم، مما يجعله في غاية الحسن والجمال، إنه تركيب غير عادي، إذ هناك إتقان في تركيب القرآن بل هناك إعجاز تركيبي؛ ويتمظهر ذلك من حيث البنية التركيبية للجمل، ومن حيث هندسة الكلمات المؤلفة لهذه الجمل. والإعجاز نلمسه من حيث تركيب ما يعرف بالحروف المقطعة في فواتح السور في القرآن الكريم.

إن النص القرآني يحترم واقع القوانين اللغوية، وتتداخل فيه قواعد النحو وفنون البلاغة، وتتبع ظواهره يقتضي معرفة شاملة بقواعد النحو واللغة والمعاني، فهو يمثل بناء محكما مضبوطا تخضع فيه الجملة لهندسة دقيقة ولنظام من الأحكام اللغوية والضوابط العلمية؛ حيث انضمت فيه الوحدات المعجمية بطريقة لسانية مضبوطة، مما يجعل النص القرآني بنية محكمة البناء تضبطه سلسلة من العلاقات التركيبية المحكمة بين مفرداته وجمله وآياته وسوره، كما خضعت هذه الوحدات لعمليات انتقائية محكمة، وأن انتقاء كلمة دون أخرى وراءه حكمة، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز فيه.

وعموما يمكن أن نجمل بشكل موجز أهم الخصائص اللسانية للتركيب القرآني فيما يلي:

أ - على مستوى اللغة: يتميز برعاية قوانين اللغة وقواعدها.

ب - على مستوى المفردات هناك هندسة دقيقة جدا تتمثل في وضع كل كلمة في موضعها التركيبي اللائق بها، وأن أي تغيير تركيبي وراءه حكمة، مما يدل على دقة الإتقان في تركيب المفردات في القرآن.

وعليه إن التركيب القرآني يجري على نسق بديع خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب، ويقوم في طريقته التعبيرية على أساس مباين للمألوف لنتأمل قوله تعالى: ﴿حم تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: 1).

فهذه الآيات بتأليف كلماتها العجيب وهندستها المتقنة، ونظمها البديع حينما سمعها عتبة بن أبي ربيعة، وكان من فطاحل البيان استولت على أحاسيسه، ومشاعره، وطارت بلبه، ووقف في ذهول، وحيرة، ثم عبر عن حيرته وذهوله بقوله (3): "والله لقد سمعت من محمد قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة... والله ليكونن لقوله الذي سمعته نبأ عظيم".

وهذه الحقيقة توجد في سائر كتاب الله لا تتخلف في سورة من سوره ولا في آياته، ومن أجل ذلك عجز أساطين البيان عن الإتيان بأقصر من مثله.

ج - على مستوى البنية التركيبية للجمل في القرآن:

هناك هندسة دقيقة على مستوى البنية التركيبية للجملة، وتتمثل في انسجام أجزاء جمله والتئامها، بل إن التركيب القرآني جار على نسق واحد من السمو في جمال اللفظ، وعمق ودقة الصياغة وروعة التعبير.

2 - آليات لسانية يمكن استثمارها لإظهار الإتقان في تركيب القرآن:

2 - 1: التحويل آلية لسانية تمكن من إظهار الإتقان في تركيب القرآن:

إن التحويل آلية لسانية تمكننا من الانتقال من المستوى العميق إلى المستوى السطحي في تركيب القرآن، أي إنها وسيلة للانتقال من المستوى العميق المجرد إلى عالم التحقق الصوتي، وبمعنى أدق إنها وسيلة للمواءمة بين العمق المقدر والسطح الظاهر، وحتى نخرج من حيز التنظير ننتقل إلى حيز التطبيق من خلال تحليلنا لتراكيب قرآنية.

لنتأمل قوله تعالى: ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ (مريم: 3). هذه الجملة القرآنية أو التركيب القرآني محولة عن تركيب عميق، فالتمييز في هذا التركيب محول عن الفاعل، والبنية العميقة للآية السابقة هي: واشتعل شيب الرأس (4)، أي انتشر الشيب وعم الرأس.

ولنتأمل قوله تعالى: ﴿وفجرنا الارض عيونا﴾ (القمر: 12)، إذا تأملنا بدقة نلاحظ أن التمييز "عيونا" محول عن مفعول به، وعليه فبنيتها العميقة هي: وفجرنا عيون الأرض، ثم أصبحت الجملة كما هي عليه في بنيتها السطحية بعد تطبيق آلية التحويل.

2 - 2: التقدير آلية لسانية لرد بنية فرعية إلى بنية أصلية في التركيب القرآني:

"التقدير هو تأويل العناصر الخفية تأويلا دلاليا واضحا" (5)، وإجرائيا هو استحضار عنصر أو عدة عناصر مغيبة من البنية التركيبية. ويرتبط التقدير ارتباطا وثيقا بالدلالة. كما يرتبط التقدير بالحذف (6)، فإذا كان هذا الأخير هو إسقاط عنصر أو أكثر من البنية التركيبية فإن التقدير هو استرجاع العنصر المحذوف من نفس البنية. وإذا أردنا أن نستثمر الجهاز المفاهيمي للسانيات وخاصة التوليدية منها؛ صح أن نميز بين مستويين لسانيين، فالحذف يشكل المستوى السطحي للجملة أو تركيبها الظاهر، بينما يمثل التقدير المستوى العميق أو تركيبها الخفي، وهذا الجهاز المفاهيمي يمكن استثماره في تفسير تركيب القرآن. لنتأمل قوله تعالى:

- ﴿وجاء ربك﴾ (الفجر: 24). تمثل هذه الآية بنية سطحية أو مستوى سطحي؛ فنظرا لاستحالة مجيء الباري تعالى؛ لأن المجيء من سمات الحدوث، اقتضى الأمر تقدير محذوف يمكننا من الوصول إلى المستوى العميق للبينة السابقة وتكون على الشكل الآتي: "وجاء أمر ربك أو عذابه أو ملائكته".

والتحليل نفسه يصدق على معظم تراكيب القرآن. مما يظهر أن في آيات القرآن الكريم الجواهر اللغوية والمعنوية واكتشافها يقتضي التسلح بما يناسب من الآليات اللسانية، هذه الأدوات والآليات التي يمكن أن تساهم في إظهار الإتقان في تركيب القرآن.

خاتمة:

إن القرآن كشف للباحثين والدارسين وهم يبحثون في وجوه إعجازه عن بحر ليس له ساحل، لا تنقضي عجائبه وأسراره، وقد شكل ولا يزال مرتكزا معرفيا هاما في العبقرية العربية، فهو من جهة يمثل ثروة بلاغية هائلة لا تنضب، ومعينا لغويا لا ينفد، ومن وجه آخر قدرة تشريعية خارقة، ورسالة سماوية رائدة. ومن ثمة سيبقى القرآن الكريم منبعا للمعرفة بل هو أصل المعرفة.

---

* الدكتور محمد الغريسي أستاذ مؤهل في اللسانيات -الكلية المتعددة التخصصات- الرشيدية المغرب

1 - ينظر: المبادئ ي العامة لتفسير القرآن بين النظرية والتطبيق ، محمد حسين علي الصغير، ط. 1 . 1420هـ/ 2000م، دار المؤرخ العرب بيروت لبنان، ص139، 140

2 - بخصوص النظرية التوليدية أنظر في هذا الشأن أعمال الدكتور الفاسي الفهري الذي حاول معالجة تركيب اللغة العربية من خلال مؤلفاته : اللسانيات واللغة العربية ، البناء الموازي ، ذرات اللغة العربية ، وأنظر أعمال الدكتور محمد الرحالي في كتابه " تركيب اللغة العربية ، أما بخصوص النحو الوظيفي أنظر أعمال الدكتور أحمد المتوكل .

3 - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي: البداية والنهاية، ج. 3، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ص. 50.

4 - ينظر الأشموني: شرح الأشموني ج. 2 ص. 195.

5 - Owens. J 1988 the foundations of grammar : An introduction to medieval arabic grammatical theory ؛Amsterdam ؛philadelphia benjamins، p66-67.

6 - للتفاصيل أكثر حول قيمة الحذف والتقدير في التفسير اللساني أنظر الدكتور محمد الغريسي، اللسانيات العربية والإضمار دراسة تركيبية دلالية.

مؤرخ فرنسي: لغة واحدة تختفي كل شهر .. والنت عولَم الصورَة

اعتبر المؤرخ الفرنسي غابرييل دو بروي، منسق الأكاديميات الخمس التابعة لـ"معهد فرنسا"، أن العولمة أسهمت في إذابة جدار اللغات التي كان عددها يقارب 6 آلاف؛ "بينما اليوم تختفي لغات العالم بوتيرة لغة واحدة كل شهر.. في وقت ما زالت تتقوى فيه لغات بلدان أخرى بفضل قوتها السياسية والعسكرية والاقتصادية"، وفق تعبيره.

وأوضح دو بروي، خلال مداخلته ضمن ندوة نظمت بالرباط تحت عنوان: "هل تعادل الصورة عشرة آلاف كلمة؟"، عشية يوم الخميس الماضي، أنه مع التطور الحالي الذي جاء بمفهوم "مجتمع المعلومات" تقلص بشكل عام دور اللغات وخصوصيتها مقابل سطوة لغة الصورة، مستطردا أن الأنترنيت أسهم في انتشار الصورة التي أصبحت لغة عالمية يتكلم بها الجميع، بعد ما باتت لها أدواتها ومعاييرها الخاصة.

وفي رصده لأوجه الاختلاف والتلاقي بين اللغتين العربية والفرنسية، أشار المؤرخ الفرنسي إلى مركزية اللغتين معا والقوة الديمغرافية التي تتوفران عليها من حيث عدد السكان بالعالم الذين ينطقون بها، فضلا عن توسعها خارج نطاق البلدان الأصلية لها بفعل مساهمة موجات الهجرة في ذلك؛ وهو ما يفسر وجودهما ضمن اللغات الرسمية العشر لمنظمة الأمم المتحدة.

وأقر عضو الأكاديمية الفرنسية بضعف تموقع اللغة العربية داخل فرنسا، حيث لا يتعدى عدد الطلبة الذين يدرسونها 1 في المائة، أي ما يعادل 6000 تلميذ وطالب، مقابل حضور كبير للغة الفرنسية بالمغرب ودول شمال إفريقيا والشرق الأوسط عموما، إذ يتعدى عدد الطلاب العرب الذين يدرسون اللغة الفرنسية في بلدانهم ما يناهز 20 في المائة، وفق دو بروي، مضيفا أن حوالي 20 ألف مدرس فرنسي يدرسون بالمستويات الابتدائية والإعدادية، فضلا عن وجود 32 مؤسسة فرنسية بالمغرب.

ولفت المتحدث ذاته الانتباه إلى إشكالية الازدواجية في اللغة التي يستعملها المغاربة؛ وأوضح قائلا: "يدرسون باللغة العربية الفصحى، وفي حياتهم اليومية لا يتحدثون إلا باللغة الدارجة"، على حد تعبيره.

من أوراق شاهدة

الصحراء المغربية ومشروع تقسيم العالم الإسلامي

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

توصلت في بحر الأسبوع الماضي بإشارة دعوية من الواتساب عرض فيها صاحبها ما اعتبره خبرا استثنائيا يزفه إلى المسلمين المكلومين حيث أورد هذا الأخير مجموعة حقائق تاريخية تبين جذور الإرهاب كصناعة غربية تلونت بمسوح علمانية أو دينية وكانت روحها عدوانية تروم التوسع والهيمنة. وفي نفس السياق ذكر المرسل ساسة طغاة قادوا هذه الحروب وقتلوا الملايين من البشر كهتلر وستالين وموسوليني وبوش الأب بأفغانستان والعراق الخ..

ما جاءني من معلومات، قديم يتم تحيينه حبة "فاليوم" المخدرة ليقول للشعوب العربية المسلمة أنتم لستم إرهابيين ولا قتلة بالسلسلة وأنتم الأرقى. لكن ماذا بعد خطابات الطمأنة هذه؟؟

تلك هي الإشكالية التي لا زالت قمقما من فولاذ يطبق على الروح الإسلامية ويمنحها عزاءا بمثابة المخدر الذي يجعلها تدير خدها الأيسر بعد الأيمن لمستعمريها ولسان حالها يردد نحن المتخلقون بشهادة ماضينا فأجدر بنا أن لا نجاريكم في إرهابكم.. يكفينا أننا ندرك قيمتنا كرواد حضارة وترتاح ضمائرنا إلى نقائنا، فألْقوا ما أنتم ملقون، إنا هاهنا قاعدون، لنا الآخرة ولكم الأولى، والعاقبة للمتقين.

وإنها لسمات الآبائية الانسحابية «هكذا ما وجدنا عليه آباءنا» من معترك التدافع والتهرب من تنزيل مقتضيات الإصلاح كما وضعها الخالق سبحانه وفصل فيها الرسول الكريم ﷺ، وهي مقتضيات تنطلق من تغيير الأنفس إلى تغيير الآفاق.

إننا ندرك بلا شك حرقة الذين يروجون لمثل هذه الحقائق، لكن تراهم يظنون أن رعاة بل زارعي الإرهاب الحقيقيين من الغربيين يجهلون ماضيهم المتوحش وهم الذين يسطرون استراتيجيات العدوان على الشعوب بعشرات السنين أم تراهم يحسبون أن إشاعة هذه الحقائق التاريخية سيحدث الطفرة التاريخية في رفة جفن ويعيد للمسلمين أمجادهم أو يحدث لهم ثقة بتاريخهم فلا يلتفتون إلى مناوشات القراصنة الجدد ولسان حالهم يردد: قد تقرص ذبابة حصانا لكن يبقى الحصان حصانا وتبقى الذبابة ذبابة.

إن ما يقع اللحظة يتوج مخططات الألفية الماضية كما حفرت معالمها الآلة الصهيونية العالمة في مختبرات الفوضى الهدامة.

وإذا كانت فلسطين ثم العراق كما جاء في تلك المخططات الشيطانية، قد دخلت إلى هذه المختبرات بعد الصنيع الاستعماري الأول الذي تكفلت فيه بريطانيا برسم حدود مصطنعة وهمية قابلة للتفجير في أية لحظة، وتم تفصيل جغرافيتها على أسس عرقية وطائفية: سنة وشيعة وأكرادا، وتم في سياقها تقديم زعماء عرب أكباش فداء لتمويه معالم الفوضى الهدامة في الواقع، وإقناع الشعوب العربية بأنها صاحبة المبادرة في التغيير في حين ليست هي سوى "كومبارس".

وإذا كانت سوريا آخر العنقود كما جاء في كتابة لمؤلف إسرائيلي يدعى إسرائيل شاحاك ستمزق إلى أربعة دويلات، وكما يخطط اللحظة في ليبيا واليمن، فإن دول شمال إفريقيا هي الأخرى تشكل جزءا من هذا المخطط حيث زرع البناءون دويلة البوليساريو "المستقلة"، وحركوا نزعات عرقية وطائفية بدول الشمال الإفريقي للمطالبة باسقلالها عن دولها. بيد أن المغرب بقيادته الحكيمة المنفتحة في ذكاء راشد على القوى الإقليمية الكبرى ومنها المتورطة في التقسيم يطيل أجل الانقضاض على بلاد المغرب لا قدر الله تعالى ..

والناظر الحصيف لأوضاع الوطن يتبين إرهاصات زعزعة هذا الاستقرار تتبدى ملامحها بشكل يدعو إلى القلق في كتابات وتصريحات كتاب كبار ينفخون في زناد ملف دعوات تقسيم المقسم وتفتيت المفتت سواء أكانت دعوات عرقية أو مذهبية دينية أم لغوية. وكما الدجاجة التي تقود صغارها إلى الغرق، وباسم دفاعهم عن حقوق الأقليات وبهذا التصرف يستعدون جهات خارجية على المغرب وسيادته ويفتحون لها الجسور للعبور إلى الخصوصيات المغربية.. وفي السياق شهدنا من يجر العلماء الربانيين إلى المقاصل بتهمة تقييد الحريات والتضييق على الأقليات وما خفي أرعب..

إن المغرب العريق بحضارته وبالتدين الحقيقي الوسطي لشعبه وحنكة قيادته ونضج الطليعة من علمائه ومثقفيه وتنوع فسيفسائه الدينية ولحمته الحصينة بين مكوناته العرقية والثقافية، بين العرب والأمازيغ (وعائلتي إحدى الأدلة العظيمة على هذا التلاحم العجيب الذي جمع بين والدي الأمازيغي القح وأمي الصحراوية العروسية رحمهما الله) وهي ركائز راسخة حفظت -حتى اللحظة المغاربة- من سيناريو التشتيت وقد عاشوا شعبا موحدا بكل مكوناته وفي ظل مؤسسات إسلامية الجذور ومشبعة بالقيم الكونية المتجذرة في صلب هويته الدينية والثقافية.

لذا فإن مصالحة عاجلة هي السبيل لصد هذا "التسونامي" القادم، مصالحة بين مكونات الطيف السياسي والثقافي، واندماجا لمؤسسة المساجد في صلب حملات تركيز مشاعر الوحدة المنبثقة من نصوص الكتاب والسنة الشريفة بين المواطنين وإشعارهم بأدوار اليقظة للدفاع عن مقدسات الوطن، آنذاك سيتم محاصرة كل فكر أو سلوك مغال ومتطرف يسير معاكسا لإرادة الأمة ووحدتها التاريخية ويستعدي عليها خصومها لتمزيقها وحتى لا يصدق علينا ما قاله المفكر مالك بن نبي: "كل قصة استعمار سبقتها قصة شعب قابل للاستعمار".

معظم النار من مُستصغر الشرر

دة. رجاء عبيد

رب ذنب استصغره العقل والقلب وهو عند الله عظيم، وقد يواظب عليه المرء الى أن يصير طبعا متجذرا فيه يهدم صرح الايمان ويضعف أثره في القلب؛ وقد يصيبه في مقتل وهو في غفلة عن شره احتقارا له واستخفافا بوقعه ، فتتحول ماهية الذنب من صغيرة الى كبيرة إذا لم تضمد جراح القلب بالتوبة النصوح، فالصغائر تكبر بأسباب: "منها الإصرار والمواظبة، ولذلك قيل لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار... ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على حجر على توال تؤثر فيه، وذلك القدر لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر... فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب"(1)

فالمطلوب تنوير القلب بالحسنات، والمحذور تسويده بران الإصرار على اجتراح السيئات، لذلك حذرنا رسول الله ﷺ من محقرات الذنوب حيث قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا بعودٍ وذا بعودٍ، حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»(2).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً»(3).

وقد ضرب النبي ﷺ المثل في الحديث ليبين أن معظم النار من مستصغر الشرر، فمستصغر شرر احتقار الذنوب تسعر به معظم نار الهلاك، فإذا استصغر المرء ذنوبه ولم يعدها شيئا في جنب الله استهانة بها تجرأ على المجاهرة بها، وربما تجرأ على الثبات عليها فتُضرم بشررها ناراً تأتي على حسناته فتهلكه، وإذا احتقرها واعتقد أنها صغيرة لا أثر لها تضاءل قدرها في عينه، فهو يراها شيئا لا يستحق المعاناة في الترك ولا المجاهدة في الإقلاع عنها ولا السعي للندم على اجتراحها فيتجرأ على الاكثار منها فيعظم تأثيرها في تسويد قلبه، ويبارز بها ربه.

فالاستصغار والإصرار والاحتقار يجعل الصغيرة يقترن بها "من قلة الحياء، وعدم المبالاة، وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر، بل يجعلها في أعلى رتبها، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم به القلب وهو قدر زائد على مجرد الفعل"(4).

ويقترن بها من الاعتداد والفرح والتبجح ما يصيرها من المهلكات فنجد "من المذنبين من يمتدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته إياه؛ كما يقول: "أما رأيتني كيف مزقت عرضه؟! ويقول المناظر في مناظرته: أما رأيتني كيف فضحته، وكيف ذكرت مساويه حتى أخجلته، وكيف استخففت به، وكيف لبست عليه؟! ويقول المعامل في التجارة: رأيت كيف روجت عليه الزائف، وكيف خدعته، وكيف غبنته في ماله، وكيف استحمقته؟! فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر فإن الذنوب مهلكات"(5).

أما إذا استعظم العبد الذنوب مع نفسه فإنها تصغر عند ربه ! لأن استعظامها مرده الى نفور القلب منها واستشعاره سوء جنايتها، فالذنب يعظم في قلب المؤمن لتعظيمه جلال الله فلا ينظر إلى صغر ذنبه، ولكن ينظر إلى عظمة من يعصى؛ لذا يقول بلال بن سعد: "لا تنظر إلى صغر معصيتك، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت"، و يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إنكم لتعملون أعمالا هي في أعينكم مثل الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات"(6) يعني بذلك المهلكات، فالمحقرات إذا كثرت صارت كبارا مع الإصرار، "والعبد كلما صغرت ذنوبه عنده كبرت عند الله، وكلما كبرت عنده صغرت عند الله، والحديث إنما يدل على المعنى فإن الصحابة لعلو مرتبتهم عند الله وكمالهم كانوا يعدون تلك الأعمال موبقات، ومن بعدهم لنقصان مرتبتهم عنهم، وتفاوت ما بينهم صارت تلك الأعمال أدق من الشعر"(7).

وقد قال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه: إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها وينسى المحقرات فيلقى الله وقد أحاطت به، وإن الرجل ليعمل السيئة فلا يزال منها مشفقا حتى يلقى الله آمنا". وذلك أن المؤمن "يرى ذنبه فوقه كالجبل يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره"(8). فكلما عظم ألم الندم على الذنب واشتد كان تكفير الذنب به أرجى.

والذنوب الصغيرة تكفر بالطاعات مع التقوى، ولزوم الاستغفار، وترك الإصرار والاحتقار. وإعلان الافتقار إلى رحمة العزيز الغفار. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 135).

---

1 – احياء علوم الدين للغزالي ج:4 ص:47.
2 – فتح الباري شرح البخارين باب ما يتقى من محقرات الذنوب ج:11 ص: 376.
3 – نفسه ج:11 ص: 376.
4 – مدارج السالكين ج:1 ص: 248.
5 – إحياء علوم الدين ج:4 ص: 48.
6 – نفسه ج:11 ص: 376.
7 – مدارج السالكين ج1 ص: 248.
8 – احياء علوم الدين. ج4 ص:48.

وَمضة

خيْبات...

. موعد العملية الجراحية بعد أربعة أشهر!

قال الطبيب الجرّاح بإصرار بعد معاينة أبيها المريض لليوم الرابع على التوالي...

. أرجوكم دكتور كما تعلمون حالة أبي حرجة.. إنه ينزف دما.. لم يعد إسعافه مجديا.. أربعة ليال متتالية ونحن نتردد على المستعجلات قاطعين مسافة بعيدة...

رد ببرودة:

. لا نتوفر على أسرّة كافية في المستشفى...!

تجرعت أولى خيباتها حين أخذت والدها أول ليلة في الثانية ليلا إلى المستعجلات في سيارة أجرة كبيرة.. طرقت الباب على الممرض المناوب الوحيد.. فتح الباب متثائبا بعد طرقه طويلا.. حدق في أبيها الذي كان يتلوى ألما.. وقال بمكر:

. لا نتوفر على وسائل إسعافه... عليك الذهاب إلى صيدلية!

. أين توجد الصيدلية؟!

. في حي كذا على أطراف المدينة؟!

. إنه حي بعيد في ضواحي المدينة، وأنا وحدي كما ترى والطريق غير آمن..!

تجرعت خيبة أخرى حين رأت أباها مرغما يدس في كف الممرض ورقة عشرين درهما...

شهقت والألم يعتصر قلبها: أمن أجل هذا المبلغ التافه يبيع الممرض دينه ومسؤوليته وحياة مريض...؟!

في اليوم الثاني بعد تلكئ الطبيب الجرّاح، سارت بين ردهات المستشفى.. اكتشفت أن جناح العمليات الجراحية شبه فارغ.. أسر إليها موظف أن هناك ثلاثة أطباء للجراحة يقتسمونه فيما بينهم.. وكل واحد منهم يبتز المرضى، ولا يجري أي عملية جراحية إلا بمقابل...

عادت في اليوم الرابع تجتر خيبتها.. قالت لها ممرضة كأنها ناصحة أمينة:

. الأمر سهل، مبلغ ثلاثة آلاف درهم فقط للطبيب.. وسيجري له العملية الجراحية الآن.. أنصحك.. لا تركبي صلابة رأسك.. وإلا ستعرضين حياة أبيك للخطر.. الفلوس ليست مهمة... نصيحة أخرى: اطلبي من هذا الطبيب إجراء العملية لأبيك في المصحة أحسن...!

ردت غاضبة:

. أليس هؤلاء الأطباء يعملون في وظيفة عمومية مع الدولة؟ أليس من حق المواطنين المرضى التطبيب... ؟!

هرعت بأبيها إلى مصحة.. اتصلت بصديقاتها.. اقترضت منهن قسطا من مبلغ العملية...

تحمد الله على سلامة أبيها.. بكت بحرارة وهو يرفض الاستشفاء في مصحة خاصة.. قال لها باكيا: "ما لك طاقة بتكاليف علاجي...!"، حاول أن يقاوم ويغادر المكان.. غير أن مفعول التخدير كان أقوى منه...!.

ذة. نبيلة عزوزي

د. عبد المجيد بنمسعود

قبسات فكرية

1- مؤتمر البيئة العالمي والفرصة الضائعة

أن تتداعى شعوب العالم عبر هيئاتها الرسمية ومنظماتها وجمعيات المجتمع المدني فيها للاجتماع الدوري والتداول في قضية البيئة عموما والتغيرات المناخية خصوصا، والتي تتجه قدما في اتجاه التفاقم وتضييق الخناق على الإنسانية جمعاء في تنفسها ومعاشها، بل وحتى التهديد الرهيب لوجود هذه الإنسانية بالتلاشي والعدم، فذلك مظهر من مظاهر الوعي الصحيح -الناتج عن استشعار الخطر الفعلي- بضرورة النهوض الجماعي الحازم، والتصدي الجدي الجازم، لهذه الظاهرة اللاطبيعية التي تتربص بحياة البشرية جمعاء، في غير ما تميز بين الأغنياء والفقراء، وبين الأقوياء والضعفاء، وبين الجناة والأبرياء، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال: 25).

غير أن السؤال الملح الذي يفرض نفسه في هذا المقام، هو عن سلامة السير الذي تسلكه هذه المؤتمرات كنموذج للجهود الجماعية التي يبذلها المجتمع الدولي، ونجاعة المنهج الذي تعالج من خلاله المشاكل المطروحة، وشمولية الحلول المقترحة لها، وكذا نجاعة وفعالية وصرامة الآليات المتخذة لتنفيذ تلك الحلول، على أساس من التواضع والتعاون والعدل بين سائر الدول والشعوب التي تكتوي كلها بنيران المعضلات البيئية المتفاقمة. ومن العدل أن يسبق التساؤل عن هذه العناصر جمعاء الحرص على تحديد نصيب كل دولة أوجهة في صنع المشكلة، ليكون ذلك أساسا لتحمل المسؤولية، وأداء الثمن المتناسب وذلك النصيب، في الإفساد والتخريب، بغض النظر عن تلقائية ذلك الإفساد أو قصديته.

والحقيقة المرة، أن قرائن الواقع تجيب بالسلب عن هذه التساؤلات الممضة الحائرة، وتعكس اختلالا منهجيا مريعا في تناول المشكل ومعالجته، وظلما فظيعا في اقتسام المسؤولية عن حله ومواجهته.

فأما الاختلال المنهجي فيتمثل في الرؤية الفكرية المبتورة التي تنظر من خلالها المؤتمرات إلى مشكلة الاحتباس الحراري المؤرق، بشكل خاص، ومشكل البيئة بشكل عام، ذلك بأن هذه الرؤية تظل رهينة البعد المادي الدنيوي الصرف، الذي يغوص في حيثيات الوجود الترابي الحسي للإنسان، ولا يستحضر إطلاقا البعد الروحي الشرعي الذي يسمو بالإنسان، ويمثل أقوى الدعائم في أي صيغة من صيغ الحلول التي تقترح لما يتربص بالإنسانية من غوائل وأخطار.

وأما الظلم الفظيع فيتمثل في تملص قوى الاستكبار العالمي من تحملها للمسؤولية بشكل جاد وكامل في معالجة المشكلة، والتعامل بأسلوب الغطرسة واللامبالاة مع الشعوب والدول الضعيفة، إلى درجة أن أكبر الدول إمعانا في تلويث البيئة وإفسادها، بحكم ما بلغته في عالم التصنيع، كانت تمتنع إلى عهد قريب عن التوقيع على الاتفاقيات القاضية بالتزام كل دولة بنصيبها من التخفيض من نسبة الغازات المنبعثة في جو السماء.

إن هناك شرطا أساسيا لازما، بل أقول ركنا راسخا وحتميا ينبغي أن تحتوي عليه أي رؤية فكرية تتبناها المؤتمرات العالمية لحل مشاكل البشرية جمعاء بما فيها مشكلة التغيرات المناخية المهددة بمحق الحياة على وجه الأرض، أو تعكير صفوها في أحسن تقدير، وجعلها وعاء للأوبئة والأمراض، ومصدرا للقلق واللاأمن على المستويات كافة.

إنه ركن العقيدة والدين الذي يمثل الإسلام صيغته الصحيحة وكلمته الخاتمة للإنسانية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والذي بدونه ستظل تسير سيرة عرجاء عمياء، لأن الإسلام هو الذي يمثل الهدى والنور والشفاء، مصداقا لقول الله ﷻ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: 15).

فما ظن الغافلين بدين يملك تصورا مبهرا للكون: أرضه وسمائه، أجرامه وأفلاكه، ويعتبر الإنسان جزءا من هذه الأرض، يستبطن ما تستبطنه من عناصر ومعادن، بمقادير موزونة إذا اختلت اختل وضع الإنسان، وتعرض كيانه للاهتزاز والاعتلال؟

ما ظنك بدين يمتن منزله على حبيبه وخاتم رسله سيدنا محمد ﷺ، يمتن على الإنسان بما حباه إياه من مقومات الحياة على هذه الأرض، والتي ينبغي أن يحافظ عليها ويرعاها حق رعايتها، إذا أراد أن يعيش حياة هانئة راضية؟ وينهاه سبحانه وتعالى عن إفساد تلك الأرض بعد إصلاحها، بقوله عز من قائل: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: 56). يقول جل جلاله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ (النبأ: 6 - 16).

إن من يستقرئ مادة الأرض في القرآن الكريم يقف على رؤية الإسلام العظيمة والكاملة للأرض، ورؤيته لمنهج حفظها وحمايتها، وإنه لمن الأكيد أن أحد مظاهر رجوع البشرية لرشدها يكمن ولا شك في ترسم التظاهرات العالمية والمؤتمرات الدولية الباحثة في حل معضلات الإنسان، لتلك الرؤية الشافية الكافية. وإنها لفرصة ضائعة حقا أن تنعقد تلك المؤتمرات في ظل غيابها والتنكر لقيمها وتعاليمها. وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: 125).

مجرد رأي

علاقة مشبوهة..!!

د: عبد القادر لوكيلي

...كشف موقع "ميديا بار" الفرنسي في تقرير له حول ما أسماه بـ(العلاقة المشبوهة) بين رئيسة حزب الجبهة الوطنية الفرنسي "مارين لوبان" وإحدى دول الخليج... التقرير جاء على خلفية تصريحات خص بها الموقع أحد قياديي الحزب والنائب الفرنسي بالاتحاد الأوروبي "بيرنارد موتو"... يقول التقرير بأن لقاءا سريا تم في يوليوز 2014 بين عميل خدمات لهذه الدولة الخليجية وبين رئيسة حزب الجبة الوطنية بمقر إقامتها ببلدية "سان كلو" الفرنسية... وقد تم استقبال الضيف بحفاوة بالغة ممزوجة بشيء من الاستغراب لسخاء العروض المقدمة لزعيمة الحزب وأيضا لمقابل هذه العروض والمتمثلة في الآتي:

- دعم حملتها الانتخابية للفوز في منافسات الانتخابات الرئاسية الفرنسية المقبلة.
- مقابل دعم هذه الدولة سياسيا وإعلاميا في المحافل الدولية.
- انتقاد ومحاربة جميع دول المنطقة الداعمة للإسلام الأصولي.
- دعم الرئيس المصري ماديا وسياسيا في حربه ضد الإخوان المسلمين خاصة والإسلام السياسي عامة.

و فعلا أوفت الزعيمة بما وعدت به بعدما أخذت ما وُعدت خاصة وأن للمقابل صدى كبيرا في هواها السياسي ولأجله أسس والدها المطرود من الحزب حزبه المتطرف... فاهتبلت الزعيمة كل فرصة وكل شاردة أو واردة لتعبر عن دعمها الشديد للقيادة المصرية باعتبارها الآن "الجدار المنيع" في و جه الأصولية السنية في المنطقة ... منددة في الوقت ذاته بدول أخرى في المنطقة لدعمها الأصولية الإسلامية والإرهاب ووو...، كما تدعي.

يذكر التقرير أيضا أن زعيمة الحزب قامت بزيارة للقاهرة برفقة وفد حزبي رفيع المستوى في السنة الماضية استغرقت أربعة أيام، التقت خلالها برئيس الدولة وشيخ الأزهر والبابا "تواضورس" وعدد من رؤساء الأحزاب ذات التوجه المشترك. طبعا لا حاجة للتذكير أن فاتورة الزيارة تكلفت بدفعها الدولة الخليجية المذكورة آنفا... وهو أمر غير مستغرب في حق دولة أصبحت تنفق إنفاق من لا يخشى الفقر على مثل هذه الأشياء.

ولله في خلقه شؤون. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بنبض القلب

النقد حينما يصبح قدحاً

ذ: أحمد الأشهب

في كثير من الأحيان يخرج الناقد عن الضوابط المهنية ليسقط في مطبات الإيديولوجية، فتغيب ملكة النقد ليدخل محلها هاجس الفكر المؤدلج -إن صح التعبير- تحضرني هنا عدة أمثلة سوف أقتصر منها على واحدة؛ في الثمانينات من القرن الماضي على ما أذكر، أصدرت الأدبية المصرية «جاذبية صدقي» عملا قصصيا رائعا يحمل عنوان: (مملكة الله)، فانهالت عليها سكاكين النقد المؤدلجة تنهش لحمها، وتصمها بالفشل وقلة الدراية، إلى الحد الذي جعل أحدهم يكتب: «.. لو جاءتني هذه الجاذبية في مكتبي وأهدتني كتابها هذا؛ لألقيت به أمام عينيها في سلة المهملات..».

أمام هذه الهجمة الشرسة، التزمت الجاذبية الصمت، ولم تُرد أن تنزل إلى مستوى هذه السفاسف، ولكن العمل حينما يتمتع بقوة الفكرة وجمالية الحرف يترك أثره في وجدان القارئ، والعقل الأكاديمي الرصين على حد سواء، وكانت المفاجأة التي عقدت الألسن في تلك السنة التي هوجمت فيها جاذبية صدقي.. بفوز عملها (مملكة الله) بجائزة الدولة في الأدب وسط ذهول محترفي النقد الإيديولوجي، وكما هو معلوم فاللجنة المشرفة على الجائزة تتكون من أدباء وأكاديميين لا يمكن التشكيك في نزاهتهم الفكرية وقدراتهم العلمية، كل هذا ونحن نعلم أن هذه المبدعة الأصيلة توجد في بيئة أدبية رفيعة المستوى، لديها روادها: (نجيب محفوظ، إحسان عبد القدوس، عبد الحكيم قاسم، نجيب الكيلاني.. وغيرهم) حيث استطاعت بعملها الذي نحن بصدده أن تتفوق على هؤلاء جميعا وتتربع على عرش مصر الأدبي، فيا أيها النقاد لا تتحولوا إلى مقاولين ثقافيين؟ !!..

الزيارة الملكية لدول شرق أفريقيا أبعاد وأهداف

يرى كثير من المهتمين أن الزيارة الملكية الأخيرة لدول إفريقيا الوسطى والشرقية لها أبعاد ودلالات منها :

أولا من حيث كونها أول زيارة ملكية لدول شرق إفريقيا

ثانيا من كونها حملت معها مخطط تعاون اقتصادي قوي يعيد صيغة العلاقة التي تربط الشرق الإفريقي بالمملكة المغربية.

ثالثا من حيث طبيعة الدول الثلاث التي شملتها الزيارة الملكية وهي رواندا وتنزانيا وإثيوبيا، وهي من دول القرن الإفريقي ذات الموقع الاستراتيجي، وهي مناطق لها دور استراتيجي في التجارة الدولية كما أن لها موقع جوار تاريخي مع الحضارة الإسلامية الإفريقية.

رابعا من حيث بعدها الديني الثقافي، ويكمن في تجسير العلاقة مع دول الجوار للحضارة الإسلامية وفيها نسبة كبيرة من المسلمين

وذكرت صحيفة الأيام الأسبوعية في عددها 730 أن الاستراتيجية المغربية لاقتحام الدول القريبة . إلى الآن . من معسكر الانفصال وراعيته الجزائر ترتكز على محاور أساسية منها:

- إعادة الانتشار الدبلوماسي.
- الاستثمار.
- تحقيق الأمن.
- العمق الإسلامي العربي.
- المخطط الأخضر.
- الصحة والدواء.

ملك الأردن يوشح مغربيين بأرفع الأوسمة تقديرا لمساهماتها في توضيح صورة الإسلام

تم يوم الاثنين المنصرم بقصر الحسينية بعمان، توشيح المغربيين محمد بن شريفة، عضو أكاديمية المملكة المغربية، ومحمد البشاري، أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي ورئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا، بوسام "الملك عبد الله الثاني بن الحسين للتميز" من الدرجة الأولى، إلى جانب عدد من العلماء الآخرين المشاركين في المؤتمر السابع عشر لمؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي المنعقد بالعاصمة الأردنية.

وذكرت وكالة الأنباء الأردنية (بترا) أن الملك عبد الله الثاني وشح، خلال حفل التكريم الذي جرى بالمناسبة، هؤلاء العلماء بالأوسمة الملكية تقديرا لخدماتهم الجليلة ودورهم في الدفاع عن قضايا الدين الإسلامي الحنيف وتوضيح صورته السمحة.

وأكد المدير العام لمؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، منور المهيد، في كلمة له بهذه المناسبة، أن المؤتمر ال17 للمؤسسة، المنظم تحت عنوان "نحو جدول تاريخي لأحداث السيرة النبوية"، يجمع خيرة من علماء ومفكري الأمة الإسلامية، الذين جاءوا من مختلف الأقطار للمشاركة في فعالياته، في إطار مواصلة السعي لخدمة الإسلام والمسلمين.

إيطاليا: مسلمو روما يحتجون في الكولوسيوم على إغلاق المساجد

أقامت بعض المساجد في روما صلاة الجمعة الماضية في ساحة المسرح الروماني (الكوليسيوم)، وذلك في فاعلية كبيرة للاعتراض على إغلاق المساجد هناك.

هذا وقد حضر الصلاة عدد كبير من المسلمين، وقُدِّمت فيها خطبة الجمعة باللغات: "العربية والإيطالية والإنجليزية"، ونقلتها بعض وسائل الإعلام في بثٍ مباشر، وقد حظِيت باهتمام إعلامي كبير.

وذكر "الشيخ محمد المحمد" – مسؤول "الجمعية الثقافية الإسلامية" بإيطاليا في روما – أن أكثر من 20 مسجدًا قد اتَّفقوا مسبقًا على الوجود في ساحة "الكوليسيوم"؛ لأداء صلاة الجمعة، وللاحتجاج على إغلاق السلطات في روما المساجدَ.

ويذكر أيضًا أن المسلمين قد حصلوا على التراخيص اللازمة لهذا التجمع، وذلك لإرسال رسالة مفادها: أن المسلمين جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع، يعيشون ويعملون ويشاركون في نهضته وحضارته وخدمته، فمن حقهم أن يعيشوا بحرية وسلام، وأن يؤدوا شعائر دينهم في أماكن مخصصة ولائقة بدينهم.

مئتا خريج في حفظ القرآن وتجويده بالمسجد الأقصى

خرَّجت دائرة التعليم الشرعي والتأهيل في المسجد الأقصى اليوم الخميس 27/ 10 / 2016 ، بالقدس المحتلة مئتي طالب وطالبة في تعليم القرآن وحفظه، بينما تعهدت الدائرة بالمضي في تعزيز وجود المسلمين في المسجد الأقصى.

وأقيم الحفل الذي نظمته دائرة الأوقاف والمقدسات الإسلامية في المصلى القبلي من المسجد بعد صلاة ظهر يوم الخميس، وحضره خريجو مستوى الإجازة في القرآن الكريم لطلبة السنة الرابعة التابع لمديرية التعليم من مختلف الأعمار وعدد من ذويهم.

وقال مدير التعليم الشرعي في المسجد الأقصى ناجح بكيرات للجزيرة نت إن دار القرآن في المسجد الأقصى تعنى بتعليم حفظ القرآن وتجويده بسند متواتر برواية حفص عن عاصم منذ ثلاثة أعوام.

وأضاف أن دائرته خرَّجت هذا العام سبعمئة طالب من المستوى الأول والثاني والثالث على ثلاث مراحل، كان آخرها يوم الخميس بتخريج طلبة الإجازة في قراءة القرآن الكريم والمستوى الثالث.

بروندي: إسلام 207 شخص في ثلاث قوافل دعوية لجمعية التعليم والتنمية

نفذت مؤسسة "التعليم والتنمية" ثلاث قوافل دعوية في ثلاث محافظات شمال شرق دولة بروندي، وذلك في ثلاث محافظات مختلفة؛ منهنَّ: "كيروندو، وموبوغا".

هذا وقد صرح الشيخ جلال فهد المريسي بالجمعية لشبكة الألوكة أن القوافل الثلاث انطلقت فجر الجمعة الماضية الحادي والعشرين من أكتوبر الحالي، واستمرت حتى مساء الأحد الماضي.

وقد شارك في كل قافلة مجموعةٌ من الدعاة المحليين بإشراف دُعاة عرب، وجاءت نتائج القوافل الثلاث مُتمثلةً في إسلام 207 نصراني.

646 تعيينا في المناصب العليا و 81 إعفاء وحركية للحكومة المنتهية ولايتها

بلغ عدد التعيينات في المناصب العليا، التي تم تداولها في المجلس الحكومي خلال الفترة الممتدة بين سنة 2012 و 2016، ما مجموعه 646 تعيينا، و81 إعفاء وحركية موزعة على 31 قطاعا.

ولم تتعد نسبة النساء اللواتي تم تعيينهن برسم الفترة المذكورة 5،11 في المائة من مجموع هذه التعيينات، وجاءت في الرتبة الأولى من حيث عدد التعيينات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر بـ 148 تعيينا و7 للحركة والإعفاء، وبلغت نسبة النساء المعينات 7، تليها وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني بـ54 تعيينا و16 إعفاء وحركية، بعدها قطاع الفلاحة والصيد البحري، الذي عرف 44 تعيينا في المناصب العليا، ثم وزارة الصحة بـ43 تعيينا، وبعدها وزارة الطاقة والمعادن والماء والبيئة بـ40 تعيينا، ثم وزارة التعمير وإعداد التراب الوطني بـ39 تعيينا، وبعدها وزارة التجهيز والنقل (38 تعيينا)، ثم وزارة الداخلية بـ31 تعيينا، وفق ما كشفته وثائق مرفقة بمشروع قانون المالية لسنة 2017.

وبخصوص توزيع التعيينات، جاء في الرتبة الأولى مديرو الإدارات المركزية بـ188 تعيينا، والمهندسون العامون والمتصرفون العامون أو من يماثلهم بـ95 تعيينا، ثم مديرو المؤسسات العمومية بـ83 تعيينا، وبعدهم مديرو المعاهد والمدارس بـ82 تعيينا، وعمداء الكليات بـ 73 تعيينا.

من جهة أخرى، تم تخصيص حوالي 80 في المائة من مجموع المناصب المالية المحدثة خلال الفترة 2016 – 2017 تم تخصيصها لفائدة القطاعات الكبرى: التربية الوطنية والتعليم العالي والداخلية والصحة والعدل، حيث إن ما يفوق 69 ألف منصب مالي تم تخصيصها لوزارتي التربية الوطنية والتعليم العالي، في حين حظيت وزارة الداخلية بـ31 في المائة من المناصب المالية المحدثة خلال العشر سنوات الأخيرة، ووزارة الصحة بـ10 في المائة. أما بالنسبة لوزارة الاقتصاد والمالية ووزارة العدل والحريات فاستفادت كل واحدة منهما، خلال نفس الفترة، من حوالي 3 في المائة من المناصب المالية المحدثة، أي ما مجموعه على التوالي 6160 و6120 منصبا ماليا.

أخبار سريعة

■ **"التربية الأخلاقية" ضمن مناهج التعليم بالإمارات:**

استعرضت الإمارات، يوم الخميس الماضي، أمام مؤتمر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو" تجربتها في تطوير التعليم، بعد أن كانت قد أعلنت عن إدراج مادة التربية الأخلاقية في المناهج والمقررات الدراسية في مدارس الدولة.

■ **أيزيديتان هربتا من داعش تحصلان على جائزة سخاروف:**

أعلن عن فوز أيزيديتان (نادية مراد باسي طه، ولمياء عجي بشار) هربتا من تنظيم داعش بجائزة سخاروف لحرية الفكر، حسبما أعلنت مصادر أوروبية يوم الخميس المنصرم.

والجائزة التي يمنحها النواب الأوروبيون كل سنة تحمل اسم المنشق السوفياتي أندريه ساخاروف الذي توفي في 1989، وتكافئ شخصيات عملت في الدفاع عن حقوق الإنسان.

■ **أكبر محمية بحرية بالعالم.. جنوبي الأرض:**

وافقت 24 دولة، والاتحاد الأوروبي، الجمعة، على إقامة أكبر محمية بحرية في العالم في المحيط القطبي الجنوبي، لتغطي مساحة هائلة تبلغ 1.55 مليون كيلومتر مربع من المحيط.

وقالت لجنة المحافظة على الموارد البحرية الحية في القطب الجنوبي، التي اجتمعت في هوبارت بأستراليا إن منطقة الحماية البحرية في بحر روس ستكون محمية من الصيد لمدة 35 عاما.

■ **تقديرات أممية: 16 ألف نازح من الموصل منذ بدء المعارك:**

تشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أن عدد النازحين الفارين من الموصل (شمال العراق) ارتفع إلى ما يقارب 16 ألف شخص، فيما يحذر برنامج الأمم المتحدة للبيئة من أن المدنيين يواجهون كوارث صحية خطيرة مع استمرار المعارك.

■ **الأمم المتحدة: إعدامات واعتقالات واغتصاب بحق مسلمي الروهينغا:**

كشفت مقررة الأمم المتحدة الخاصة بحقوق الإنسان في ميانمار "يانغهي لي" عن وقوع انتهاكات خطيرة من قبل السلطات ضد أقلية الروهينغا المسلمة، مشيرةً إلى أن ما لا يقل عن 12 ألف مسلم فروا من ديارهم خوفا من الانتقام.

■ **مقاضاة طبيب ألماني رفض تعيين تُركية محجبة:**

تعتزم سيدة تركية محجبة إقامة دعوى، في مدينة شتوتغارت الألمانية، ضد طبيب أسنان بتهمة معاملتها بما يتعارض مع قانون المساواة في المعاملة عقب رفضه طلبها بالحصول على فرصة عمل بسبب ارتدائها الحجاب. وقال المحامي بولنت دوغر، إن سيدة محجبة تقدمت بطلب للعمل بعد أن أعلن طبيب أسنان عن وجود فرصة عمل في مدينة شتوتغارت، جنوبي ألمانيا.

■ **صندوق النقد يكشف عن شرطه لحصول مصر على القرض:**

قالت مديرة صندوق النقد الدولي كريستين لاغارد الخميس إن مصر تمر بـ "أزمة"، مقترحة خفض قيمة العملة الوطنية بسرعة لتضييق الفارق بين السعر الرسمي وسعر السوق السوداء إزاء العملات الأجنبية.

وأوضحت لاغارد "فيما يتعلق بسعر صرف العملة، توجد حاليا أزمة في مصر لأنك إذا نظرت إلى السعر الرسمي ونظرت إلى سعر السوق السوداء، هناك فارق بنسبة 100% ولذلك يجب معالجة ذلك".

■ **مشعل وهنية وعباس يبحثون المصالحة في الدوحة:**

التقى رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس أبو مازن كلا من رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، خالد مشعل، ونائبه إسماعيل هنية أثناء غداء عمل في الدوحة أقامه وزير خارجية قطر، الشيخ محمد عبد الرحمن آل ثاني.

وتم خلال اللقاء البحث في مختلف المواضيع ذات العلاقة، والتأكيد على ضرورة استئناف الحوار الذي تستضيفه دولة قطر بين حركتي فتح وحماس.

لآلئ وأصداف

يلتقطها أ.د. الحسن الأمراني

نعمة الخوف (1)

في اللغة ألفاظ تبدو أنها تحتل دائرة واحدة مع لفظ الخوف في معاجم اللغة. فمن ذلك:

الرَّوع: الفزع، والروعة: الفزعة.

والرعبُ: الخوف، تقول منه: رعبته فهو مرعوب إذا أفزعته. ولا تقول: أرعبته.

والفرَقُ بالتحريك، الخوف، وقد فرقَ بالكسر. تقول: فرقت منك، ولا تقول فرقتك، كما يقال خفتك.

والفزع: الذعر، تقول منه: فزعت إليك، وفزعت منك.

إذن: الخوف، والفزع، والروع، والرعب، والفرق، والذعر، كلها تدل على معان متقاربة في اللغة.

وفي مفردات القرآن للأصفهاني بيان بعض الدلالات، بحسب الاستعمال القرآني.

فالرعب هو الانقطاع من امتلاء الخوف، يقال: رعبته فرعب رعبا، وهو رغبٌ. والترعابة الفَروق. قال تعالى: ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ (الأحزاب: 26). وقال: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ (آل عمران:151).وقال: ﴿ولملئت منهم رعبا﴾ (الكهف:18). ولتصوّر الامتلاء منه قيل: رعبت الحوض ملأته.

والرَّوعُ: إصابة الرُّوع، وهو الخَلَد، واستعمل فيما ألقي فيه من الفزع. قال: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع﴾ (هود: 74).

والفَرَق: تفرّق القلب من الخوف، واستعمال الفرق فيه كاستعمال الصدع والشق فيه، قال: ﴿ولكنهم قوم يفرقون﴾ (التوبة: 56).

والخشية: خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه. ولذلك خصّ العلماء بها في قوله: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر: 28) وقال: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ (الأحزاب: 39).

وأما الخوف فهو توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة. كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضادّ الخوف: الأمن. ويُستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية. قال تعالى: ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ (الإسراء:57)، وقال: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله﴾ (الأنعام: 81) وقال تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا﴾. (السجدة:16)

وقوله: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾ (النساء:35)، فقد فسّر ذلك بعرفتم. وحقيقته: وإن وقع لكم خوف من ذلك لمعرفتكم.

قال الأصفهاني: "والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب، كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكفُّ عن المعاصي، واختيارُ الطّاعات، ولذلك قيل: لا يُعدّ خائفا من لم يكن للذنوب تاركا. والتخويف من الله تعالى هو الحثّ على التحرز. وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ذلك يخوّف الله به عباده﴾ (الزمر:16)، ونهى الله تعالى عن مخافة الشيطان والمبالاة بتخويفه فقال: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مومنين﴾ (آل عمران: 175). أي فلا تأتمروا لشيطان وائتمروا لله".

وأما قوله تعالى: ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ (مريم:5)، فخوفه منهم أن لا يُراعوا الشريعة ولا يحفظوا نظام الدين، لا أن يرثوا ماله كما ظنه بعض الجهلة، فالقنيّات الدنيوية أخسُّ عند الأنبياء عليهم السلام من أن يشفقوا عليها.

وللخوف، بحسب الاستعمال القرآني، مراتب، منها:

1 – الخوف ابتلاء
2 – الخوف نقمة وعذاب
3 – الخوف نعمة

ولا بد من التذكير بأن الخوف شعور مشترك بين الناس، حيث لا يخلو منه أحد. إلا أن الناس فيه متفاوتون جدا. ولذلك اقترنت الشجاعة بعدم الخوف. والشجاعة صفة حمدية لا يتصف بها كل الناس. ولأن الخوف شعور مشترك بين الناس، بما في ذلك خوف البشر من الطغاة والجبابرة، لم يخل منه الأنبياء. قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما﴾ (الشعراء:21) وقال أيضا: ﴿ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ (الشعراء:14). وهذا كان من موسى عليه السلام أول العهد بالوحي والنبوة، فلما استحكم الأمر واستيقن، لم يعد خوف مخلوق يعرف إليه سبيلا. وكذلك عندما تستقر بشاشة الإيمان في النفوس. ولذلك لما آمن سحرة فرعون بموسى عليه السلام، وكانوا أشد الناس ولاء لفرعون وخوفا، واجهوا فرعون غير هيابين ولا وجلين، وقد هددهم بالقتل والصلب على جذوع النخل. قال تعالى: ﴿فألقي السحرة سجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين. قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المومنين﴾ (الشعراء: 50 – 51).

للحديث صلة إن شاء الله تعالى.

الأمة الإسلامية تودع علما من أساطين التحقيق شعيب الأرنؤوط

إنا لله وإنا إليه راجعون

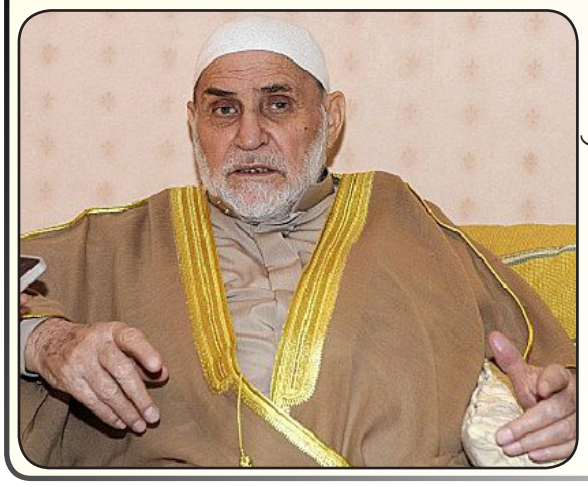

بعد مسيرة حافلة بالعطاء انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ المحدث، المحقق، شعيب الارنؤوط، في العاصمة الأردنية عمان، يوم الخميس 27 أكتوبر عن عمر ناهز الـ 90 عاماً، وأقيمت صلاة الجنازة عليه بعد صلاة الجمعة في مسجد الجمعاء في الشميساني.

ولد الفقيد بمدينة دمشق سنة 1928، درس اللغة العربية منذ صغره، واستغرقت دراسته للفقه سبع سنوات أخرى، تخللها دراسة أصول الفقه، وتفسير القرآن، ومصطلح الحديث، وكتب الأخلاق، وكان في تلك المرحلة قد جاوز الثلاثين، وبعدها فرّغ نفسه للاشتغال بتحقيق التراث العربي الإسلامي حيث حقق ما يقوق 70 مجلدا. وبهذا تكون الخزانة الإسلامية قد فقدت علما من محققيها الأجلاء.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

إلى أن نلتقي

رغم الجراح، أُمَّتُنا أُمَّةٌ واحدة

أمتنا تعاني من جراح عديدة كثيرة متنوعة:

جراح مذهبية فرقتنا طرائق قِدداً، كل طريقة ترى أنها هي التي على الحق..

وجراح فكرية فرقتنا أهواء متباينة.. كل هوىً يكاد أن يكون إلها من دون الخالق يعبد..

وجراح سياسية فرقتنا أحزابا؛ كل حزب بما لديهم فرحون..

وجراح عرقية فرقتنا قبائل وشعوبا، لا لنتعارف، ولكن لنتناحر ونتدابر..

وجراح أخرى أكثر من السابقة وأعظم وأشنع... إنها تلك الجراح الحقيقية التي تسيل دماء بريئة هنا وهناك من بلاد هذه الأمة: دُور تهدّم على رؤوس أصحابها، أطفال يُقتّلون أو يُعذّبون، شيوخ يهجرون، نساء تُرمّل وتُستباح أعراضُهن، وشباب لا حول لهم ولا قوة..

لقد مرَّت على تاريخ أمتنا أحداث جسام، لكن ما يحدث في أمتنا هذه الأيام، في زمن المدنية الحديثة، وفي زمن حقوق الإنسان، وفي مقدمتها حقه في العيش، وفي زمن الديمقراطية والحرية وما شئت من شعارات، وفي زمن أصبح العالم فيه كالقرية الصغيرة، أقول: ما يحدث في أمتنا، ولَها، هذه الأيام لم يمر بحجمه وفظاعته في تاريخها ولا في تاريخ أي شعب آخر.. أحداث غريبة... جراح أليمة... فُرقةٌ كبيرة... وما خفي أعظم.

يحدث كل هذا باسم الدفاع عن الهُوية تارة، والوطن تارة ثانية، والقِيم تارة ثالثة، بل وباسم الدين في كثير من الأحيان، وكل هذه الثلاثة من الجميع بَراء، فلا الوطنية تشفع في الاعتداء، ولا الهُوية تشرعن الهمجية، ولا القيم الحقيقية تسمح بإيذاء الغير. أما الدين فيا ليت قومي يعلمون ما في هذا الدين من رحمة وكرامة لبني الإنسان. نعَمْ؛ الرحمةُ والكرامةُ، تكفي هاتان الكلمتان ليعيش الإنسان، أيّ إنسان، في كنف دلالاتهما في طمأنينة وسكينة مدى الحياة.

ومما يغذي هذه العدوانية خفوت الشعور بالانتماء للأمة، ومن ثم اضمحلال الانتماء إلى الآدمية أو الإنسانية، وذلك بسبب تضخم الشعور بالأنا، وظهور العرقيات والقوميات وطغيانها على سطح الأحداث بشكل كبير، فقد ظهر الحقد والجشع والرغبة في قمع الآخر وإذلاله، حتى بدأنا نشاهد في عدد من وسائل الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي مقاطع مصورة تبين مقارنات في العديد من السلوكات بين بني الإنسان وبين بني الحيوان: في الإيثار والشفقة والرحمة والمعاملة الحسنة والإسعاف والإطعام وحتى الإنقاذ من الأخطار، وفي ذلك كله فاق فيها الإنسان الحيوان.

نعم يبقى الإنسان إنسانا بطبعه، والحيوان حيوانا كذلك بطبعه، ولكن مروجي هذه المقاطع المصورة، وهم يتبادلونها فيما بينهم يحسون أن القيم الإنسانية قد تدنّت عند بني آدم بشكل كبير، وخاصة في بلاد الإسلام.

إن الانتماء للوطن والغيرة عليه والدفاع عنه لا يلغي الانتماء إلى الأمة، والإحساس بما يشعر به أبناؤها هنا وهناك من المآسي، والاهتمام بأمورهم والتضامن معهم ولو بالدعاء، وذلك أضعف الإيمان. فلقد ورد في الحديث النبوي: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» (متفق عليه). وإن التقزز من مشاهد المآسي التي تعرضها وسائل الإعلام، والتي يعيشها المسلمون هنا وهناك من بلاد الله، والنفور من متابعة ذلك، بدعوى ألا شيء يمكن أن يُفْعَل، وأن لكل فرد، أو لكل شعب مشاكله... مثل هذا السلوك والاعتقاد بعيد عن طبائع المسلم الذي يؤمن بأن أهل القبلة تجمعهم كلهم كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، فضلا عن أن بني آدم مهما اختلفت أوطانهم وألوانهم ولغاتهم، فقد خُلقوا ليتعارفوا، وكلنا نقرأ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13).

أما الانتماء للإسلام والاهتداء بهديه، فإنه يفرض أكثر من ذلك؛ لأن المنتمي إليه يؤمن أن المسلم أخو المسلم، كما جاء في الحديث النبوي: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ...» (رواه مسلم)، ويؤمن أيضا أن المؤمنين، حيثما كانوا جسد واحد، كما في قوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (رواه البخاري ومسلم)، وبذلك فهُم يشكلون أمة واحدة، كما في قوله ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ» (رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ).

لكن مع كل هذه الجراح، تبقى أمتنا أمة واحدة، ونسأل الله تعالى أن يكشف عنها كلّ غُمّة.

أ.د. عبد الرحيم الرحموني